أحمد عادل عبد الحكيم

سوق المقربين

المقدمة 8
سوق المقربين 16
ركن التوحيد 17
الرشفة الأولى 18
الرشفة الثانية 18
الرشفة الثالثة 19
الرشفة الرابعة 19
الرشفة الخامسة 19
الرشفة السادسة 20
الرشفة السابعة 21
الرشفة الثامنة 21
الرشفة التاسعة 22
الرشفة العاشرة 22
الرشفة الحادية عشر 22
الرشفة الثانية عشر 23
الرشفة الثالثة عشر 24
الرشفة الرابعة عشر 24
ركن المعرفة 25
الرشفة الأولى 26
الرشفة الثانية 26
الرشفة الثالثة 26
الرشفة الرابعة 27

الرشفة الخامسة 27
الرشفة السادسة 28
الرشفة السابعة 28
الرشفة الثامنة 28
الرشفة التاسعة 29
الرشفة العاشرة 29
الرشفة الحادية عشر 30
الرشفة الثانية عشر 30
الرشفة الثالثة عشر 31
الرشفة الرابعة عشر 31
الرشفة الخامسة عشر 32
الرشفة السادسة عشر 32
ركن المحبة 33
الرشفة الأولى 34
الرشفة الثانية 34
الرشفة الثالثة 35
الرشفة الرابعة 35
الرشفة الخامسة 36
الرشفة السادسة 36
الرشفة السابعة 37
ركن الأدب 38
الرشفة الأولى 39
الرشفة الثانية 39

الرشفة الثالثة..... 39
الرشفة الرابعة..... 40
الرشفة الخامسة..... 40
الرشفة السادسة..... 40
الرشفة السابعة..... 41
ركن السلوك..... 42
الرشفة الأولى 43
الرشفة الثانية..... 43
الرشفة الثالثة..... 43
الرشفة الرابعة..... 44
الرشفة الخامسة..... 44
الرشفة السادسة..... 45
الرشفة السابعة..... 45
الرشفة الثامنة 46
الرشفة التاسعة..... 46
الرشفة العاشرة..... 47
ركن الطريق..... 48
الرشفة الأولى 49
الرشفة الثانية..... 49
الرشفة الثالثة..... 50
الرشفة الرابعة..... 50
الرشفة الخامسة..... 51
الرشفة السادسة..... 51

الرشفة السابعة 51
الرشفة الثامنة 51
الرشفة التاسعة 52
الرشفة العاشرة 52
الرشفة الحادية عشر 52
الرشفة الثانية عشر 53
الرشفة الثالثة عشر 53
الرشفة الرابعة عشر 54
ركن الاستقامة 55
الرشفة الأولى 56
الرشفة الثانية 56
الرشفة الثالثة 57
ركن الرحمة 58
الرشفة الأولى 59
الرشفة الثانية 59
ركن الزهد 60
الرشفة الأولى 61
الرشفة الثانية 61
الرشفة الثالثة 61
الرشفة الرابعة 61
الرشفة الخامسة 63
الرشفة السادسة 63
الرشفة السابعة 64

الرشفة الثامنة 65
الرشفة التاسعة 65
الرشفة العاشرة 66
الرشفة الحادية عشر 66
الرشفة الثانية عشر 66
الرشفة الثالثة عشر 67
الرشفة الرابعة عشر 67
الرشفة الخامسة عشر 68
الرشفة السادسة عشر 68
ركن الخدمة 69
الرشفة الأولى 70
ركن الاستماع 71
الرشفة الأولى 72
الرشفة الثانية 72
الرشفة الثالثة 73
الرشفة الرابعة 73
الرشفة الخامسة 74
الرشفة السادسة 74
الرشفة السابعة 74
ركن العبادات 75
الرشفة الأولى 76
الرشفة الثانية 76
الرشفة الثالثة 76

الرشفة الرابعة..... 78
الرشفة الخامسة..... 79
الرشفة السادسة..... 79
الرشفة السابعة..... 80
ركن الذكر والخلوات 81
الرشفة الأولى 82
الرشفة الثانية..... 82
الرشفة الثالثة..... 83
الرشفة الرابعة..... 84
الرشفة الخامسة..... 85
الرشفة السادسة..... 86
الرشفة السابعة..... 87
ركن العلوم والواردات 88
الرشفة الأولى 89
الرشفة الثانية..... 89
الرشفة الثالثة..... 90
الرشفة الرابعة..... 90
الرشفة الخامسة..... 91
الرشفة السادسة..... 91
الرشفة السابعة..... 92
الرشفة الثامنة 92
الرشفة التاسعة..... 93
الرشفة العاشرة..... 93

الرشفة الحادية عشر 94
الرشفة الثانية عشر 95
ركن الصحبة 96
الرشفة الأولى 97
الرشفة الثانية 98
الرشفة الثالثة 98
الرشفة الرابعة 99
الرشفة الخامسة 99
ركن الملائكة 100
الرشفة الأولى 101
الرشفة الثانية 102
الرشفة الثالثة 103
ركن الأنبياء 104
الرشفة الأولى 105
ركن "الله" 106
الرشفة الأولى 107
الرشفة الثانية 107
الرشفة الثالثة 108
الرشفة الرابعة 108
الرشفة الخامسة 109
الرشفة السادسة 110
الخاتمة 111

المقدمة

المقربون هم صفوة أهل الآخرة، الذين سابقوا في الدنيا إلى كل خير، وسارعوا إلى كل عمل صالح، فنالوا بذلك فضل الله العظيم، وقربهم إليه زلفى، وسبقوا الخلائق في الآخرة. فهم السابقون السابقون. السابقون في العاجلة دار البلاء والمتاع، والسابقون في الآخرة دار النعيم والقرار.

وسنتجول معاً في الصفحات التالية مع المقربين في سوقهم، ذلك السوق الذي اشتروا منه بضاعتهم وزادهم ليعينهم في طريقهم إلى القربى. وهي سوق عريقة متاجره، دقيقة ومتقنة بضاعته، غالية وثمينة سلعه، سهل شراؤها، عظيم وثقيل حملها، كالأطواد الشوامخ تُجَّارُهَا، كثير روادها، قليل منهم من يشتري، وعزيز منهم من يقدر على حمل ما اشتراه والسير به إلى نهاية طريقه.

ومتاجر هذه السوق عريق بنيانها، قوي أساسها، مشهورة ومعروفة أسماؤها وعلاماتها. فهناك متجر عبد القادر الجيلاني، ويقابله متجر أبي حامد الغزالي، ثم متجر أبي طالب المكي، وبجواره متجر الحارث المحاسبي، ثم متجر ابن قيم الجوزية، والهروي، والنفري، وابن عطاء، والقشيري، وغيرها الكثير من المتاجر ذات البضاعة النفيسة. ثم هناك متجر صحيح السنة وما يشمله من صحيح

أحاديث رسول الله ﷺ وأقوال صحابته الكرام رضوان الله عليهم جميعاً، وهو متجر كبير يفوق باقي المتاجر حجماً وجمالاً وبهاءً. وهناك أكبر متاجر هذا السوق وأعلاها ارتفاعاً وأفخمها بنياناً، يراه أهل السوق جميعهم أينما كانوا، وهو متجر القرآن الكريم، لا يفرغ من الرواد، وليس لبضاعته انتهاء.

ثم غلبني حالي، وألحت علي نفسي، وتبعها هواي وقلبي، أن أفتتح لي خاناً صغيراً، وزاويةً متواضعةً في زقاق خلفي في هذه السوق المبارك أهلها وروادها وتجارها وكل من مر بها، لعلي أنال من بركاتها، فجوار الأولياء والصالحين كله نور وخير وبركة. فألصقت نفسي بهم رجاء أن تصيبني رحمات الله ووده اللذين يصبهما على أوليائه صباً.

وخاني هذا قليلٌ بضاعته، عظيم أثرها على نفسي. إذ أن ما أعرضه فيه هو دررِي الثمينة، وأحجاري الكريمة، التي صقلتها شعلة قلبي، وأذابها موقد نفسي. فلعلها تصادف قلباً نائماً فتوقظه، أو قلباً تائهاً محتاراً فتدله على الطريق، أو قلباً منتبهاً فتشعل فتيله لينطلق طاوياً الأحوال والمقامات والدرجات. وهذه الدرر الثمينة نتاج أحوال تأثرت فيها برفاقي في الطريق، وبمن سبقنا على الطريق، وبمن انتهى به الطريق.

وأعرض في هذا الخان عصارة قلبي، وجوهر أدوائه ودوائه وترياقه. وهي أدوية عميق أثرها، شديد فعلها في النفس، ماضٍ سيفها في القلب. ولشدتها لا تؤخذ جملةً واحدةً؛ وإنما رشفات لينات مفرقات يرشفهن القلب على مكث وتؤدة. فما أعرضه في الخان رشفات، وكل رشفة تشمل كلمات وجيزات تعبر عن حالٍ ومشاعرَ، حيرةٍ وهدايةٍ، اضطرابٍ واطمئنان، سقوطٍ وارتقاء. وهي ليست حالات متعاقبة؛ بل متداخلة متشابكة، فاهتدائي غارق في حيرتي، واطمئناني منطلق بمركبة اضطرابي. كما تشمل حديثي وكلامي عن ربي، وبثي إليه، مصاغة بأسلوب مخاطبة القارئ. ولأنها أحوال ومشاعر ففهمها وتلقيها يختلف من قارئ لآخر بحسب ما وصل إليه من حال وشعور. فقد تفتح لواحد باباً، وقد تصل بآخر إلى حالٍ لم يصله من قبل، وقد تعطي لثالثٍ معنىً وفهماً لحيرة تمزقه، وقد يراها رابعاً موعظةً ونصحاً، وقد يراها خامساً أدباً وسجعاً. لذلك اخترت ألا أشرح وأفند ما فيها، لكيلا أضيق لأحدهم واسعاً، ولا أُوَسِّعَ لأحدهم ما ضاق استعداد قلبه عنه.

وقد قسمت الخان على ثمانية عشر ركناً. ولهذا التقسيم ثلاث منطلقات. أولها أن صفات المقربين خمس أساسية منها تتفرع أي صفات وشمائل أخرى. فالمقربون هم من تخلقوا بالأخلاق الحسنة، وراعوا الآداب الرفيعة، وتعلقت قلوبهم بحب الله وحب رسوله محمد ﷺ، ودلهم ربنا عليه فأكرمهم بمعرفته، ثم ألبسهم تاج توحيده ليكونوا ملوك الدنيا، فيقومون بأمره فيما أقامهم فيه من أمور خلقه فيها. ثم هم

أصفياءه في الآخرة، الذين أدناهم منه، وقربهم إليه، مع من قرب إليه من سائر من اصطفى ممن خلق. وثانيها أن لطريق المقربين خمس جسور كبرى، كل جسر يقطع بالمسافر هوة سحيقة ما كان له أن يجتازها إلا بعبور هذا الجسر. فمن اجتازها وعبرها وصل بفضل الله، ومن حاول الالتفاف حولها تعطل وتأخر، ومن لم يرها تاه وضل إلا أن يتغمده الله برحمته وفضله، فيرده إلى طريقه بلطفه ورأفته. هذه الجسور هي الاستماع، وخدمة الخلق، والزهد، والرحمة، ثم الكرامة الكبرى وهي الاستقامة. أما ثالثها فهو زاد المسافرين على طريق القربى وهو الفرائض، والذكر، والخلوات، وقلة الكلام، وقلة الأكل، والصحبة، والتعلم.

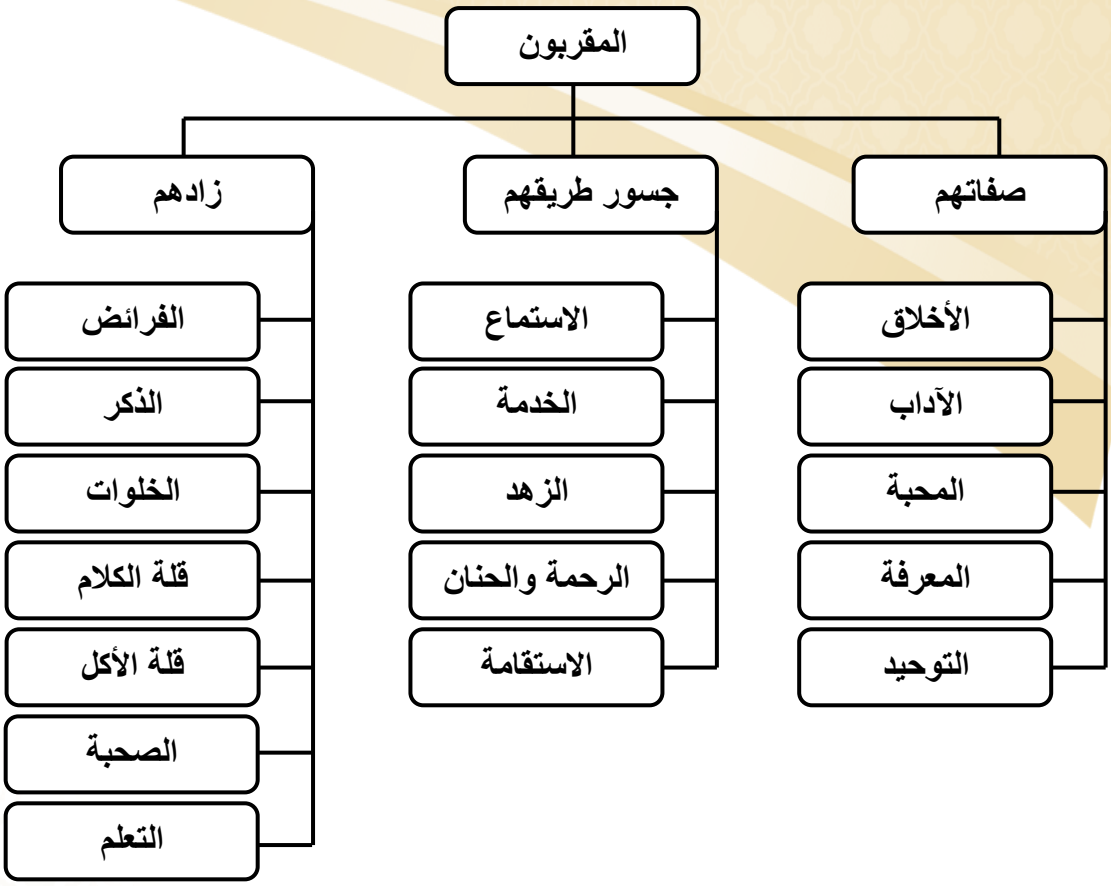

فأركان الخان الثمانية عشر تتضمن داخلها كل ما ورد في هذه المنطلقات الثلاث.

وترتيب هذه الأركان على النحو التالي:

1. ركن التوحيد: وفيه الحديث عن توحيد الله وما يحققه في القلب وما يعطله.
2. ركن المعرفة: وفيه الحديث عن معرفة الله وإزالة الحجب.

3. ركن المحبة: وفيه الحديث عن حب الله والقرب والبعد ومحبة مخلوقاته.
4. ركن الأدب: وفيه الحديث عن الأدب مع الله وآداب الأوقات والمخلوقات.
5. ركن السلوك: وفيه الحديث عن الأخلاق والمعاملات مع جميع المخلوقات.
6. ركن الطريق: وفيه الحديث عن وصف الطريق.
7. ركن الاستقامة: وفيه الحديث عن استقامة القلب والجوارح.
8. ركن الرحمة: وفيه الحديث عن آثار رحمة الله.
9. ركن الزهد: وفيه الحديث عن الدنيا والموت، والشهوات وطغيانها وتوازنها.
10. ركن الخدمة: وفيه الحديث عن خدمة الخلق ودرجاتها.
11. ركن الاستماع: وفيه الحديث عن مبدأ الأمر ومنتهاه، وهو استماع القلب.
12. ركن العبادات: وفيه الحديث عن الفرائض والطاعات.
13. ركن الذكر والخلوات: وفيه الحديث عن أسرارهما وما يعين عليهما.
14. ركن العلوم والواردات: وفيه الحديث عن الكشف والإلهام وما يأتيك من الله.
15. ركن الصحبة: وفيه الحديث عن صحبة الطريق وأثرها وصفاتها.
16. ركن الملائكة: وفيه الحديث عمن يذكرون الله ويطيعونه ولا يفترون.
17. ركن الأنبياء: وفيه الحديث عن المصطفين الأخيار وحديث خاص عن رسول الله ﷺ.
18. ركن "الله": وهو ركن الأنوار.

وفي كل ركنٍ وضعت ما في جعبتي من تراقيَ وأكاسير على من سيرمي به الفضول إلى عتبات زاويتي. وحلاوة التراقي وأثرها ذوقي ثم عقلي. مشاعر وأحاسيس تخالط القلب، فليس ثَمَّةَ معرفة ومعلومات يحللها العقل. فمن أقبل شارياً أو متفرجاً فليخلع عقله على عتبات الخان، لا تعطيلاً لأدوات العقل وإنما تقديماً لأدوات القلب. فمن حاول تذوق الطعام الشهي بعقله لم يظفر بلذةٍ ولا بزيادة علمٍ. ومن أقبل على الدرس والعلم بقلبه فقط خسر العلم وكفر بالذوق. فلوحة المقربين خامتها وأصلها التزام بالشرع وعمل في عالم المادة والشهادة – وهذا عمل العقل – وقصتها وألوانها وتفاصيلها ودقتها والمشاعر التي تنقلها عمل ذوقي، وهذا عمل القلب.

ولأنها رشفات متفرقات لأحوالٍ ومعانٍ مقتحماتٍ تحيل ركود القلب والنفس إلى عواصف هادرة، فلا ينصح بقراءتها دفعة واحدة، بل بروويةٍ وتأنٍ ليأخذ القلب وقته في تذوقها. وليس بالضرورة أن تقرأ بالترتيب، بل بحسب حال القارئ واحتياجه. وقد يشعر القارئ أن الرشفات عابرة للأركان والأقسام الموضوعة، وهو شعور صادق، وذلك لعجز الكلمات عن الإحاطة بالمعاني، ولتداخل الأحوال والمشاعر، فقد تعبر الرشفة عن أكثر من حال، وتفضيل عرضها في ركن محدد لغلبة ذلك على حالي وقلبي ومشاعري.

ورجائي أن يجد كل عابرٍ بهذه الأوراق في أي كلمةٍ أو حرفٍ منها ما يتزود به في طريقه. ومقابل ما يشتري شفاعته لي يوم القيامة، فيشفع لي عند ربه، ويستنقذني من زحام الحساب وهوله، ويدخلني معه في وفد المقربين.

سوق المقربين

ركن التوحيد

الرشفة الأولى

كُلُّ مَا سِوَى الخَالِقِ مَخْلُوقٌ. وَكُلُّ مَا سِوَى المَلِكِ عَبْدٌ. فَأَيْنَمَا نَظَرْتَ فَلَنْ تَجِدَ حَوْلَكَ وَلَا فِي نَفْسِكَ إِلَّا عَبِيدٌ مَخَالِيقٌ

الرشفة الثانية

اِلْزَمْ بَابَ المَلِكِ. وَلَا تَكُنْ حَاجَتُكَ إِلَّا إِلَيْهِ. فَكُلُّ مَنْ حَوْلَكَ مِنْ إِنْسٍ أَوْ جِنٍّ أَوْ مَلَكٍ مُقَرَّبٍ أَوْ شَيْطانٍ مُبْعَدٍ عَبيدٌ، لَا يَمْلِكُونَ لَكَ وَلَا لِأَنْفُسِهِمْ نَفْعاً وَلَا ضَراً وَلَا شِفَاءً وَلَا سَقَماً وَلَا مَوْتاً وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُوراً

الرشفة الثالثة

كُنْ لِلْفَرْدِ فَرْداً

بِلَا خَلْقٍ وَلَا دُنْيَا وَلَا نَفْسٍ وَلَا عُقْبَى

الرشفة الرابعة

لَا يَكُنْ عَالَمُكَ خَلْقاً فِي خَلْقٍ بِلَا خَالِقٍ. لِيَكُنْ عَالَمَكَ الخَالِقُ. لَا حَاجَةَ وَلَا قَصْدَ وَلَا إِرَادَةَ وَلَا رَغْبَةَ وَلَا هَوى وَلَا نَظَرَ وَلَا سَمْعَ إِلَّا مِنْهُ وَإِلَيْهِ

الرشفة الخامسة

تَوْحِيدُ اللِسَانِ إِسْلَامٌ. وَتَوْحِيدُ القَلْبِ إِيمَانٌ.

وَالجِسْرُ بَيْنَهُمَا بَلَاءٌ.

مَنْ اِجْتَازَهُ وَحَّدَ. وَمَنْ نَكَصَ عَنْهُ أَشْرَكَ

الرشفة السادسة

مَنْ جَلَسَ بَيْنَ يَدَيْ رَبِّهِ حَامِداً مَادِحاً مَا زَادَ الثَّنَاءُ قَلْبَهُ إِلَّا شَوْقاً،

وَمَا زَادَ الشَّوْقُ رُوحَهُ إِلَّا حُزْناً،

وَمَا زَادَ الحُزْنُ نَفْسَهُ إِلَّا زُهْداً،

وَمَا زَادَ الزُّهْدُ العَبْدَ إِلَّا تَوْحِيداً

الرشفة السابعة

تَدْخُلُ الإِسْلَامَ بِالتَوْحِيدِ. ثُمَّ تَنْفُذُ إِلَى مَمْلَكَةِ الإِيمَانِ بِالتَوْحِيدِ. ثُمَّ يُعْرَجُ بِكَ إِلَى سَمَاءِ الإِحْسَانِ بِالتَوْحِيدِ. ثُمَّ تُصْطَفَى مِنَ المُقَرَّبِينَ بِالتَوْحَيدِ

فَتَوْحِيدُ الإِسْلَامِ بِقَوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ

وَتَوْحِيدُ الإِيمَانِ بِإِفْرَاغِ القَلْبِ مِنْ كُلِّ مَا سِوَى اللهِ

وَتَوْحِيدُ الإِحْسَانِ بِزَوَالِ الحُجُبِ فَلَا تَرَى إِلَّا اللهُ

وَتَوْحِيدُ المُقَرَّبِينَ اصْطِفَاءٌ فَيُعَرِّفُكَ اللهُ بِهِ حَقاً

فَالإِسْلَامُ وَالإِيمَانُ إِنَابَةٌ وَاجْتِهَادٌ، وَالإِحْسَانُ وَالقُرْبَى اجْتِبَاءٌ وَاصْطِفَاءٌ

فَالبِدَايَةُ اكْتِسَابٌ لِفِعْلِ اللهِ فِيكَ، وَالنِّهَايَةُ انْجِذَابٌ لِفِعْلِ اللهِ فِيكَ

الرشفة الثامنة

تُدْرَكُ حَقِيقَةُ التَّوْحِيدِ بِالقَلْبِ، ثُمَّ يَزِنُ العَقْلُ الحَقِيقَةَ المُدْرَكَةَ بِمِيزَانِ الشَّرْعِ، فَتَطْمَئِنُّ النَّفْسُ

فَمَنْ أَقْبَلَ عَلَى التَّوْحِيدِ بِقَلْبِهِ ثُمَّ غَابَ عَنْهُ العَقْلُ، شَطَحَتْ نَفْسُهُ

وَمَنْ أَقْبَلَ عَلَى التَّوْحِيدِ بِعَقْلِهِ وَلَمْ يُدْرِكْ قَلْبُهُ، غَابَتْ عَنْهُ حَقِيقَةُ التَّوْحِيدِ، فَاضْطَرَبَتْ نَفْسُهُ

أَمَّا مَنْ أَقْبَلَ عَلَى التَّوْحِيدِ بِعَقْلِهِ وَلَمْ يُدْرِكْ قَلْبُهُ، وَتَوَهَّمَ فِي نَفْسِهِ الإِدْرَاكَ، فَنَفْسُهُ عَلَى خَطَرٍ عَظِيمٍ

الرشفة التاسعة

مَنْ تَحَقَّقَ بِالتَوْحِيدِ (لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ)، فَلَيْسَ ثَمَّةَ دُنْيَا وَآخِرَةُ. إِنَّمَا هُوَ قَلْبٌ مُتَعَلِّقٌ شَاهِدٌ مُوَحِّدٌ مُسْتَسْلِمٌ

الرشفة العاشرة

مَنْ تَحَقَّقَ بِالتَوْحِيدِ (لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ)، فَلَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللهِ حِجَابٌ، إِلَّا مَا قَدَّرَهُ اللهُ مِنْ حِجَابِ الدُنْيَا.

وَمَنْ أَشْرَكَ بِاللهِ فَبَيْنَهُ وَبَيْنَ اللهِ كُلُّ حِجَابٍ

الرشفة الحادية عشر

أَخْفَى الشِّرْكُ شِرْكُ النَّفْسِ. أَنْ يَجْعَلَ العَبْدُ لِنَفْسِهِ حَظًّا وَإِرادَةً وَمَلِكًا مَعَ مَوْلَاهُ وَأَعْلَى مَراتِبِ التَّوْحيدِ فَناءُ النَّفْسِ. فَلَا يَكونُ لَهَا حَظّاً وَلَا إِرادَةً وَلَا هَوىً مَعَ مَوْلَاهَا

الرشفة الثانية عشر

يَتَعَلَّقُ القَلْبُ بِمَعَالِمِ الطَّرِيقِ إِلَى اللهِ، فَيَمْحُو اللهُ بَعْضاً مِنْهَا، فَيُفْتَحُ بَابُ الحِيرَةِ عَلَى مِصْرَاعَيْهِ. ثُمَّ يُثَبِّتُ اللهُ تَوْحِيدَهُ فِي قَلْبِ العَبْدِ لِيَزُولَ كُلُّ تَعَلُّقٍ بِمَا سِوَى اللهِ.

يَمْحُو اللهُ مَا يَشَاءُ ويُثْبِتْ

الرشفة الثالثة عشر

التَّوْحيدُ هوَ الكَرامَةُ الكُبْرَى، وَصِفَةُ المُقَرَّبِينَ العُلْيَا

وَكَمالُ التَّوْحيدِ أَلّا تَشْهَدَ مَعَ اللَّهِ أَحَدًا وَلَا شَيْئًا سِوَاه. وَأَنْ تَذْهَلَ عَنْ نَفْسِكَ فَلَا تَشْهَدُهَا وَلَا تَرَاهَا. فَتَرَى عَيْنُ القَلْبِ يَقِينًا أَنْ لَا إِلهَ إِلَّا اللَّهُ، وَلَا رَبَّ إِلَّا اللَّهُ، وَلَا خالِقَ إِلَّا اللَّهُ، وَلَا فاعِلَ حَقًّا إِلَّا اللَّهُ، وَلَا مُدَبِّرَ إِلَّا اللَّهُ، وَلَا عالِمَ إِلَّا اللَّهُ، وَلَا مُريدَ إِلَّا اللَّهُ، وَكُلُّ شَيْءٍ صَائِرٌ إِلَى اللَّهِ، وَكُلُّ شَيْءٍ صادِرٌ عَنْ اللَّهِ خَلْقًا وَتَكْوِينًا وَعِلْمًا وَإِرادَةً. كَانَ وَلَا شَيْءَ مَعَهُ، وَهُوَ عَلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ. تَنَزَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلْقَهُ وَأَوْجَدَهُ.

والتَّوْحيدُ هوَ النَّتيجَةُ وَالسَّبَبُ، وَهُوَ البُرْهانُ وَالمُقَدِّمَةُ، فَعَنْهُ تَنْشَأُ صِفاتُ المُقَرَّبِينَ، وَبِهَا يَصِلُ المُؤْمِنُ إِلَى التَّوْحيدِ. فَهُوَ بِدايَةُ الأَمْرِ وَنِهَايَتُهُ، وَبابُ الطَّرِيقِ وَمَخْرَجُهُ، وَنَبَعُ نَهْرِ الْإِيمَانِ وَمَصَبُّهُ، وَمَبْدَأُ القُرْبِ وَمَآلُهُ.

الرشفة الرابعة عشر

الحَسَدُ يُنَافِي التَّوْحِيدَ. فَالْحَاسِدُ عَبْدٌ يَظُنُّ نَفْسَهُ شَرِيكًا لِمَوْلَاهُ فِي تَقْسِيمِ الرَّحْمَاتِ

وَالتَّكَبُّرُ يُنَافِي التَّوْحِيدَ. فَالْمُتَكَبِّرُ عَبْدٌ يَرَى نَفْسَهُ شَرِيكًا لِمَوْلَاه فِي التَّعَالِي وَالعَظَمَةِ

وَسُوءُ الظَّنِّ يُنَافِي التَّوْحِيدَ. فَمُسِيئُ الظَّنِّ عَبْدٌ يَتَوَهَّمُ نَفْسَهُ شَرِيكًا لِمَوْلَاه فِي الحُكْمِ وَالْقَضَاءِ

وَهَكَذَا فِي سَائِرِ أَمْرَاضِ القُلُوبِ. فَإِنَّ أَصْلَهَا شِرْكٌ. فَكُلَّمَا تَمَكَّنَتْ مِنْ القَلْبِ زَادَ الشِّرْكُ، وَكُلَّمَا تَخَلَّصَ مِنْهَا القَلْبُ رَبَا التَّوْحِيدُ

الرشفة الخامسة عشر

اَلْموَحِّدونَ مُلوكُ الدُّنْيَا، خُلَفاءُ اللَّهِ فِي أَرْضِهِ، وُلاتُهُ عَلَى خَلْقِهِ فِيمَا أَقَامَهُمْ وَأَوْلَاهُمْ فِيهِ. هَيَّأَهُمْ اللَّهُ وَسَخَّرَهُمْ لِخَلْقِهِ أَجْمَعِينَ. وَصَرَفَ إِلَيْهِمْ حَاجَاتِ عَبَادِهِ. فَلَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ اليَدُ العَلْيَا

ركن المعرفة

الرشفة الأولى

قَالوا نَعْبُدُ أَصْنَاماً فَنَظَلُ لَهَا عَاكِفِين: أَيَّاً كَانَ مَا تُعَظِّمُ فَهُوَ صَنَمُكَ. وَمَعَ كُلِّ صَنَمٍ تُسْقِطُ، تَقِلُّ الحُجُبَ، فَتُشْرِقُ المَعْرِفَةُ، وَتَتَفَجَّرُ فِي القَلْبِ يَنَابِيعُ التَوْحِيدِ

الرشفة الثانية

يُخْرِجُ الحَيَّ مِنَ المَيِّتِ: أَمِتْ قَلْبَكَ عَنْ الخَلْقِ. ثُمَّ أَمِتْهُ عَنْ هَوَاكَ. ثُمَّ أَمِتْهُ عَنْ إِرَادَتِكَ. ثُمَّ أَمِتْهُ عَنْ أَمَانِيهِ. فَيُخْرِجُهُ مَوْلَاهُ حَيّاً، لِيَحْيَى بَعْدَهَا حَيَاةً طَيِّبَةً مُطْمَئِنَّةً بِعَيْنِ اللهِ "ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ"

الرشفة الثالثة

كُلُّ إِمَاتَةٍ لِلْقَلْبِ زِلْزَالٌ مِنَ الفِتَنِ وَالبَلَاءِ يَعْصِفُ بِهِ، وَيَقْذِفُ بِهِ فِي سَاحَاتِ الحِيرَةِ وَالشَّكِ وَالنَّفْسِ. وَلَا عَاصِمَ حِينَهَا مِنْ أَمْرِ اللهِ إِلَّا مَنْ رَحِمْ

الرشفة الرابعة

المَلَائِكَةُ لَا يَعْصُونَ اللهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ، فَهُمْ مَعْصُومُونَ مِنَ الإِرَادَةِ

وَمَا يَنْطِقُ عَنْ الهَوَى، فَالأَنْبِيَاءُ مَعْصُومُونَ مِنَ الهَوَى

فَمَنْ أَفْنَى إِرَادَتَهُ اكْتَنَفَتْهُ إِرَادَةُ اللهِ. وَمَنْ أَفْنَى هَوَاهُ جَعَلَهُ اللهُ وِعَاءً لِعِلْمِهِ. فَإِذَا بِهِ يَتَحَرَّكُ بِعِلْمِ اللهِ لِتَحْقِيقِ إِرَادَةِ اللهِ

الرشفة الخامسة

إِزَالَةُ الحُجُبِ عَنْ الحِجَابِ أَصْعَبُ وَأَخْفَى مِنْ إِزَالَةِ الحِجَابِ ذَاتِهِ. فَمَتَى أَحْسَسْتَ وَتَنَبَّهْتَ لِوُجُودِهِ فَقَدْ كَشَفْتَهُ. فَإِذَا رَأَيْتَهُ وَعَرَفْتَهُ فَقَدْ رَفَعْتَهُ. وَأَهْلُ كَشْفِهِ هُمُ المُجَاهِدُونَ. وَأَهْلُ رَفْعِهِ هُمُ المُقَرَّبُونَ

الرشفة السادسة

نَظَرُكَ إِلَى الخَلْقِ يَحْجِبُكَ عَنْ نَفْسِكَ. ونَظَرُكَ إِلَى نَفْسِكَ يَحْجِبُكَ عَنْ اللهِ. فَارْفَعْ عَنْكَ حُجُبَ الخَلْقِ تَرَى عَيْنَ ذَاتِكَ. فَمَتَى رَأَيْتَهَا فَقَدْ أُذِنَ لَكَ فِي رَفْعِهَا لِتَشْهَدَ تَجَلِّيَاتِ الصِّفَاتِ والأَسْمَاءِ والأَفْعَالِ

الرشفة السابعة

تَعْرِفُ قُلُوبُنَا يَقِيناً مَا لَنَا وَمَا عَلَيْنَا. وَلَكِنْ تَزِيغُ عَنْهَا العُيُونُ بِزَهْرَةِ الحَيَاةِ الدُّنْيَا

فَإِذَا مَا صَارَتْ الزَّهْرَةُ حُطَاماً، تَرَى العَيْنُ يَقِيناً مَا لَنَا وَمَا عَلَيْنَا

فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ اليَوْمَ حَدِيدٌ. فَاكْشِفْ عَنْكَ غِطَاءَكَ طَوْعاً قَبْلَ أَنْ يُكْشَفَ عَنْكَ كَرْهاً

الرشفة الثامنة

إِنَّمَا هُوَ اللهُ وَأَنْتَ. وَلَا شَيءَ غَيْرُ اللهِ

الرشفة التاسعة

مَنْ تَجَلَّى اللهُ لَهُ بِصِفَاتِ الكَمَالِ أَحْبَهُ وَاشْتَاقَ لِلِقَائِهِ وَقُرْبِهِ

وَمَنْ تَجَلَّى اللهُ لَهُ بِصِفَاتِ الجَلَالِ خَافَهُ وَهَابَهُ وَتَمَنَّى لَوْ كَانَ نَسْياً مَنْسِيّاً

الرشفة العاشرة

حِيلَتُكَ حِجَابٌ، مَتَى ضَعُفَتْ انْكَشَفَ لَكَ جَمِيلُ تَدْبِيرِهِ

وَمَالُكَ حِجَابٌ، مَتَى قَلَّ انْكَشَفَ لَكَ وَاسِعُ عَطَائِهِ

وَهَكَذَا فِي كُلِّ أَمْرِكَ

فَمَنْ اجْتَبَاهُ اللهُ نَزَعَ عَنْهُ الحُجُبَ لِيَنْكَشِفَ لَهُ جَمَالُ وَجَلَالُ وَكَمَالُ أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ

الرشفة الحادية عشر

لَا تَقُلْ إِلَّا الحَقَّ، وَلَا تَكْتُبْ إِلَّا الحَقَّ، وَلَا تَتَحَرَكْ إِلَّا بِالحَقِّ

فَإِذا غَابَ عَنْكَ الحَقُّ فَاسْكُنْ

فَمَنْ تَحَرَّى الحَقَّ وَصَلَهُ الحَقُّ. وَمَنْ أَهْمَلَ الحَقَّ حَجَبَهُ الحَقُّ

الرشفة الثانية عشر

حُسْنُ الظَّنِّ بِاللهِ مَنْشَأُهُ أَمْرَانِ

مَعْرِفَةُ اللهِ وَصِدْقُ الحَالِ مَعَهُ

وَمَعْرِفَةُ النَّفْسِ وَالصِدْقُ مَعَهَا

فَمَنْ لَمْ يَعْرِفْ رَبَهُ وَنَفْسَهُ وَلَمْ يَصْدُقْ مَعَهُمَا، فَحُسْنِ ظَنِّهِ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ

الرشفة الثالثة عشر

مَنْ دَعَا اللهَ نَاظِراً إِلَى نَفْسِهِ لَمْ يَرَ إِلَّا فَقِيراً مُذْنِباً مُقَصِّراً ضَعِيفاً

وَمَنْ دَعَا اللهَ نَاظِراً إِلَيْهِ رَأَى قَادِراً عَظِيماً غَنِيّاً كَرِيماً رَحِيماً لَطِيفاً

فَالأَوَّلُ قَلِقٌ مُنْقَبِضٌ بِسُوءِ ظَنِّهِ بِنَفْسِهِ، وَالثَّانِي مُطْمَئِنٌّ مَنْبَسِطٌ بِحُسْنِ ظَنِّهِ بِرَبِّهِ

وَالمُؤْمِنُ يَتَقَلَّبُ بَيْنَ الحَالَيْنِ. وَمَنْ سَارَ بِحَالٍ وَاحِدٍ مِنْهُمَا دُونَ الآَخَرَ هَلَكَ

الرشفة الرابعة عشر

جَمَالُ الصِّفَاتِ الإِلَهِيَّةِ وَكَمَالُهَا لَا يُدْرَكُ بِالعَقْلِ، وَلَا يُتَوَصَّلُ إِلَيْهِ بِالفَهْمِ؛ وَإِنَّمَا

يَنْكَشِفُ لِلْقَلْبِ الَّذِي هُوَ مَحَلُ إِدْرَاكِهَا

فَمَنْ أَدْرَكَهَا بِعَقْلِهِ وَتَوَصَّلَ إِلَيْهَا بِفَهْمِهِ، فَقَدْ آَمَنَ بِهَا غَيْباً

وَمَنْ انْكَشَفَتْ لِقَلْبِهِ وَذَاقَ تَجَلِّيَاتِهَا، فَقَدْ عَرَفَها يَقِيناً

وَالمُوقِنُونَ بِالغَيْبِ أَسْبَقُ مِنَ المُؤْمِنُينَ بَالغَيْبِ. وَكُلَّاً وَعَدَ اللهُ الحُسْنَى

الرشفة الخامسة عشر

مِنْ أَعْلَى دَرَجَاتِ المَعْرِفَةِ شُهُودُ جَمَالِ الكَمَالِ. فَمَنْ أُنْعِمَ عَلَيْهِ بِرُؤْيَتِهِ، لَمْ يَرَ فِي الكَوْنِ بِتَفَاصِيلِ مَوْجُودَاتِهِ وَتَنَوُّعِ أَفْعَالِهِمْ وَأَعْمَالِهِمْ إِلَّا كَمَالاً بَدِيعاً

الرشفة السادسة عشر

الْعِلْمُ عِلْمَانِ

عِلْمٌ فَانٍ وَعِلْمٌ بَاقٍ

فَالْعِلْمُ الفَانِي هُوَ كُلُ مَا يَتَعَلَّقُ بِتَصْرِيفِ أُمُورِ الدُّنْيَا،

وَيَفْنَي بِالْمَوْتِ،

وَلَا يَبْقَى مِنْهُ إِلَّا أَثَرُهُ. إِنْ كَانَ خَيْراً فَخَيْرٌ، وَإِنْ كَانَ شَرّاً فَشَرٌّ

وَالْعِلْمُ الْبَاقِي هُوَ كُلُ مَا يَتَعَلَقُ بِمَعْرِفَةِ اللهِ،

وَلَا يَفْنَى بِالْمَوْتِ،

بَلْ هُوَ فِي زِيَادَةٍ دَائِمَةٍ لَا انْتِهَاءَ لَهَا

ركن المحبة

الرشفة الأولى

يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفاً وَطَمَعاً: الرَّهْبَةُ وَالرَّغْبَةُ، وَالخَوْفُ وَالطَّمَعُ، وَالخَشْيَةُ وَالشَّوْقُ. تَتَقَلَّبُ بَيْنَهَا القُلُوبُ حَتَّى لَا تَحْتَرِقَ مِنْ شِدَّةِ الشَّوْقِ وَالحُبِّ، وَلَا تَنْفَطِرَ مِنْ عِظَمِ الخَشْيَةِ وَالرَّهْبَةِ. فَتَسْتَمِرُّ فِي تَحْقِيقِ مُرَادِ رَبِّهَا إِلَى يَوْمِ أَجَلِهَا

الرشفة الثانية

لَوْلَا البُعْدُ لَانْفَطَرَتْ قُلُوبُ المُحِبِّينَ شَوْقاً، وَلَوْلَا القُرْبُ لأَفْسَدَتْ القُلُوبَ زَهْرَةُ الحَيَاةِ الدُّنْيَا. فَبِهِمَا يَسِيرُ العَبْدُ إِلَى مَوْلَاهُ رَاجِياً وَمُؤَمِّلاً

الرشفة الثالثة

مَنْ أَقْبَلَ عَلَى مَلِكٍ ذَهَلَ عَنْ نَفْسِهِ مِنْ عَظِيمِ البِنَاءِ وَفَخَامَةِ الثِّيَابِ وَجَلَالِ المَلِكِ المُتَرَبِّعِ عَلَى عَرْشِهِ وَسْطَ حَاشِيَتِهِ. فَمَنْ أَقْبَلَ عَلَى مَلِكِ المُلُوكِ، ذِي الجَلَالِ وَالكَمَالِ، وَلَمْ يَفْنَ عَنْ نَفْسِهِ وَهَوَاهُ وَإِرَادَاتِهِ وَأَمَانِيهِ فَمَا أَقْبَلَ قَلْبُهُ حَقِيقَةً؛ وَإِنَّمَا يَرْجُو الإِقْبَالَ

الرشفة الرابعة

شَـوْقِي إِلَى المَحْبُوبِ لَيْسَ بِمُنْطَفِئ ... إِذْ لَا وِصَـالَ لِذَاتِـهِ مَـا مَـنْ حُضُورْ

عَجْـزٌ عَـنْ الإِدْرَاكِ يَأْكُـلُ مُهْجَتِـــي ... وَالعَجْـزُ عَـنْ إِدْرَاكِـهِ عِلْـمٌ وَنُـــورْ

"اللَّـــهُ يَـا اللَّـــهُ" أَلْهَـــجُ ذَاكِـــراً ... إِنْ قُلْتُ وَصْفاً سَوْفَ أُرْمَى بالكُفُورْ

الرشفة الخامسة

لَا يَكُنْ قَصْدُكَ مِنَ الوَعْظِ سَوْقَ قُلُوبِ العِبَادِ إِلَى مَوْلَاهُمْ؛ بَلْ الحَدِيثَ عَنْ حَبِيبِكَ

فَكَلَامُكَ عَنِ اللهِ يَحْصُلُ بِهِ فَوْزَانِ: ذِكْرُ اللهِ لَكَ، وَزِيَادَةُ مَحَبَتِهِ فِي قَلْبِكَ

فَإِنْ زَادَ عَلَيْهِمَا هِدَايَةُ السَّامِعِ فَهِيَ بِشَارَةُ اللهِ لَكَ بِتَحْصِيلِ المَقْصُودِ

الرشفة السادسة

لِيَكُنْ كَلَامُكَ كُلُّهُ إِلَى اللهِ، وَكِتَابَتُكَ وَقَلَمُكَ رَسَائِلٌ إِلَى اللهِ

فَلَا يَخْرُجُ مِنْكَ إِلَّا صِدْقٌ، وَلَا يَصْدُرُ عَنْكَ إِلَّا حَقٌّ

الرشفة السابعة

أَسْـأَلُـــكَ إِلَهِـــي يَـــا مَـــوْلَايْ

أَنْ يَمْتَلِـئَ لِسَانِـي بِذِكْـرِكْ

أَنْ يُبْـدِعَ قَلْبِـي فِي مَدْحِـكْ

أَنْ يَسْجُـدَ كُلِّي فِي حُبِـكْ

بِدُمُـوعِـي تَمْتَلِـئُ الآمَـاقْ

أَسْـأَلُـــكَ إِلَهِـــي يَـــا مَـــوْلَايْ

إِبْرَاهِيـــمَ اخْتَـرْتَ خَلِيـلا

بَـلْ مُوسَـى آثَـرْتَ كَلِيمـا

وَمُـحَمَّـدَ قَـدَّمْـتَ حَبِيبـا

فَبِمَـاذا فَضَّلْـتَ المُشْتَـاقْ

ركن الأدب

الرشفة الأولى

أَنْتَ عَبْدٌ. فَالْزَمْ حُدُودَكَ

الرشفة الثانية

وَاللهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ: حَجَبَ عَنْكَ بِرَحْمَتِهِ عِلْمَ حَقَائِقَ الأَشْيَاءِ. وَرَحْمَتُهُ لَا رَادَّ وَلَا مُمْسِكَ لَهَا

الرشفة الثالثة

إِنَّمَا أَنْتَ عَبْدٌ. وَلَيْسَ لِعَبْدٍ أَنْ يَدَّعِيَ أَنَّ مَا أَعْطَاهُ مَوْلَاهُ مِنْ شَيءٍ لِلْقِيَامِ بِوَاجِبَاتِهِ قَدْ صَارَ مِلْكاً لَهُ. فَالعَبْدُ كُلُّهُ لِمَوْلَاهُ. وَوَاجِبَاتِهِ فِي الدُّنْيَا لِمَوْلَاهُ. وَمَا اخْتُّصَ بِهِ مِنْ نِعَمٍ لِمَوْلَاهُ

الرشفة الرابعة

إِذَا عَمِلْتَ عَمَلاً للهِ فَلَا يَكُنْ هَمُّكَ أَجْرَكَ عِنْدَهُ أَوْ دُخُولَكَ جَنَّتِهِ؛ وَإِنَّمَا إِرْضَاءَهُ تَعَالَى بِإِتْقَانِ عَمَلِكَ لَهُ، وَمَزْجَهُ بِعُصَارَةِ قَلْبِكَ لِيَخْرُجَ بِإِحْسَانٍ. فَإِذَا نِلْتَ رِضَاهُ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَكَ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ

الرشفة الخامسة

لَا يَكُنْ هَمُّكَ طَلَبَ العَطَاءِ؛ وَإِنَّمَا طَلَبَ الوُصُولِ. فَمَنْ وَصَلَ إِلَى المَلِكِ الكَرِيمِ أُعْطِيَ

الرشفة السادسة

لَا تَلْتَفِتْ عَنْ اللهِ. وَلْيَكُنْ وَجْهُكَ دَوْماً إِلَيْهِ أَدَباً وعُبُودِيَّةً وَشُكْراً وَشَوْقاً وَحُبّاً

الرشفة السابعة

لَا يَكُنْ لَكَ ادِّعَاءٌ، وَلَكِنْ رَاقِبْ فِعْلَ اللهِ فِي قَلْبِكَ. فَمَا يَرِدُ عَلَى قَلْبِكَ حَقٌّ، وَمَا يَرِدُ عَلَى عَقْلِكَ دَعْوَى

فَمَالَكُ المُلْكِ إِذَا أَرَادَ إِكْرَامَ عَبْدِهِ وَمَدْحِهِ أَخْبَرَهُ. أَمَّا العَبْدُ فَلَيْسَ لَهُ أَنْ يُكْرِمَ نَفْسَهُ أَوْ أَنْ يَمْدَحَهَا بَيْنَ يَدَيْ سَيِّدِهِ

الرشفة الثامنة

كَمَالُ العُبُودِيَّةِ أَنْ تَكُونَ مَعَ أَمْرِ اللهِ لَكَ كَحِينِ أَمَرَكَ "كُنْ" فَكُنْتَ

ركن السلوك

الرشفة الأولى

لَا تَذْكُرْ السَّيِّئَاتِ وَالأَخْلَاقَ الدَّنِيَّةَ بِلِسَانِكَ حَتَّى يَنْسَاهَا، فَإِذَا نَسِيَهَا غَابَتْ عَنْ عَقْلِكَ، فَإِذَا غَابَتْ عَنْهُ غَفَلَ عَنْهَا قَلْبُكَ، فَلَا يَهِمَّ بِهَا

وَأَجْرِ عَلَى لِسَانِكَ ذِكْرَ الصَّالِحَاتِ وَالأَخْلَاقِ العَلِيَّةِ حَتَّى يَعْتَادَهَا، فَإِذَا اعْتَادَهَا كَثُرَ حُضُورُهَا إِلَى عَقْلِكَ، فَيَنْتَبِهَ لَهَا قَلْبُكَ، فيَهِمَّ بِهَا

الرشفة الثانية

مَنْ يَرَى نُقْصَانَهُ، يَصِلُ إِلَى الكَمَالِ

الرشفة الثالثة

مِنْ أَعْظَمِ عِبَادَاتِ القَلْبِ العَجْزُ، أَوْ قُلْ الإِضْطِرَارَ، أَوْ قُلْ الإِفْتِقَارَ

الرشفة الرابعة

مَتَى ظَنَنْتَ أَنَّكَ خَيْرٌ مِنْ مُحَدِّثِكَ فَاعْلَمْ أَنَّهُ خَيْرٌ مِنْكَ وَأَفْضَلُ

الرشفة الخامسة

مَتَى رَأَيْتَ مِنْ نَفْسِكَ صِفَةً كَرِيمَةً، فَاعْلَمْ أَنَّكَ لَا زِلْتَ دُونَهَا

فَمَنْ رَأَى فِي نَفْسِهِ تَوَاضُعاً، فَهُوَ عَلَى الحَقِيقَةِ يَرَى نَفْسَهُ خَيْراً مِنْ غَيْرِهِ، فَيَتَوَاضَعُ لَهُ

وَمَنْ رَأَى فِي نَفْسِهِ كَرَماً، فَهُوَ عَلَى الحَقِيقَةِ يَرَى نَفْسَهُ أَنْفَقَ كَثِيراً مِمَّا هُوَ مُسْتَخْلَفٌ فِيهِ

فَأَدِّبْ نَفْسَكَ حَتَّى لَا تَرَى لَهَا فِعْلاً، وَتُدْرِكَ أَنْ كُلَّ خَيْرٍ صَدَرَ مِنْهَا هُوَ مَحْضُ فِعْلِ اللهِ وَفَضْلِهِ فِيهَا وَلَهَا

الرشفة السادسة

أَوَّلُ التَّوَاضُعِ أَنْ تَتَوَاضَعَ لِلْخَلْقِ. فَلَا تَلْقَ أَحَداً إِلَّا ظَنَنْتَهُ خَيْراً مِنْكَ

وَأَوْسَطُ التَّوَاضُعِ أَنْ تَضَعَ نَفْسَكَ لِأَمْرِ اللهِ وَنَهْيِهِ

وَأَعْلَى التَّوَاضُعِ أَنْ تُدْرِكَ حَقِيقَةَ أَنَّكَ عَبْدٌ يَسِيرُ فِي مُلْكِ مَوْلَاهُ بِتَدْبِيرِهِ وَمَشِيئَتِهِ

فَالأَوَّلُ يُورِثُ حُسْنَ الخُلُقِ، وَالثَّانِي يُورِثُ الإِسْتِقَامَةَ، وَالثَّالِثُ يُورِثُ الرِّضَا وَالتَّسْلِيمَ

الرشفة السابعة

أَوْلُ كُلِّ صِفَةٍ عَلِيَّةٍ مُجَاهَدَةٌ. وَأَوْسَطُهَا مَشَاعِرٌ. وَأَعْلَاهَا تَوْحِيدٌ

فَمَنْ وَصَلَ إِلَى التَّوْحِيدِ فَقَدْ تَحَقَّقَ بِالصِّفَةِ

وَمَنْ كَانَ دُونَهُ فَهُوَ مَا بَيْنَ مُتَقَلِّبٍ فِي مَشَاعِرِهَا وَأَحْوَالِهَا، أَوْ مُثَابِرٍ مُتَكَلِّفٍ مُجْتَهِدٍ

الرشفة الثامنة

اِعْلَمْ أَنَّ لِكُلِّ عَبْدٍ خَلَقَهُ اللهُ مَقَاماً مَعْلُوماً. فَلَا تَحْقِرَنَّ مِنْ عِبَادِ رَبِّكَ أَحَداً.

فَالخَيْرِيَّةُ سِرٌ لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللهُ. أَمَا تَرَى كَيْفَ سَبَقَ عُمَرُ بْنِ الخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مَنْ كَانُوا إِلَى الإِسْلَامِ أَسْبَقَ مِنْهُ، وَسَبَقَ مَنْ كَانَ يُعَذِّبُهُمْ مِنَ المُؤْمِنِينَ، وَسَبَقَ مَنْ يَأسُوا مِنْ إِسْلَامِهِ

الرشفة التاسعة

لَا وُصُولَ لِلْحَقِّ تَبَارَكَ اسْمُهُ إِلَّا بِالحَقِّ

فَالحَقُّ رِدَاؤكَ وَزَادُكَ وَمَطِيَّتُكَ، لَا نَجَاةَ لَكَ إِلَّا بِهِ

الرشفة العاشرة

مَنِ انْشَغَلَ بِاللهِ اتَّسَعَ قَلْبُهُ لِجَمِيعِ خَلْقِهِ

إِذْ وَجْهُهُ إِلى اللهِ فَمَا ثَمَّ انْشِغَالاً بِنَفْعٍ أَوْ ضُرٍ

وَمَنِ انْشَغَلَ بِنَفْسِهِ ضَاقَ قَلْبُهُ بِجَمِيعِ خَلْقِهِ

إِذْ وَجْهُهُ إِلى نَفْسِهِ فَتَشْغَلُهُ بِنَفْعِهَا أَوْ دَفْعِ الضُرِ عَنْهَا

وَمَنْ خَلَطَ بَيْنَهُمَا خَدَعَتْهُ نَفْسُهُ

فَصَدَقَ انْشِغَالُهُ بِاللهِ ظَاهِراً، وَصَدَقَ انْشِغَالُهُ بِهَا بَاطِناً

ركن الطريق

الرشفة الأولى

مَنْ أَرَادَ بَيْعًا أَوْ شِراءً بَحَثَ عَنْ السّوقِ. فَمَن أَرَادَ القُرْبَى فَلِيَبْحَثَّ عَنْ الطَّرِيقِ وَالْبابُ إِلَى الطَّرِيقِ هُوَ القَلْبُ، وَمَعالِمُهُ هِيَ النَّفْسُ، وَنِهَايَتُهُ لِقَاءٌ ﴿فَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاه حِسَابَهُ﴾

الرشفة الثانية

الطَرِيقُ إِلَى اللهِ تَسْلِيمٌ. وَبِقَدْرِ مَا يَتَحَقَّقُ التَسْلِيمُ فِي القَلْبِ يَقْطَعُ العَبْدُ مِنَ الطَرِيقِ

الرشفة الثالثة

البَلَاءُ أَرْبَعَةٌ

فَبَلَاءُ الجَسَدِ عَجْزٌ، وَدَوَاؤُهُ الصَّبْرُ وَالتَسْلِيمُ

وَبَلَاءُ العَقْلِ وَهْمٌ، وَدَوَاؤُهُ التَّوَكُّلُ وَالتَسْلِيمُ

وَبَلَاءُ النَّفْسِ هَوَىً، وَدَوَاؤُهُ الصَّوْمُ وَالتَسْلِيمُ

وَبَلَاءُ القَلْبِ تَعَلُّقٌ، وَدَوَاؤُهُ الزُهْدُ وَالتَسْلِيمُ

الرشفة الرابعة

الطَّرِيقُ إِلَى اللهِ آسِرٌ مُمْتِعٌ. فَأَنْتَ كُلَّ يَوْمٍ فِي شَأْنٍ. مَشاعِرُ مُتَضارِبَةٌ وَأَحْوالٌ، مَا بَيْنَ قُرْبٍ وَبُعْدٍ، وَوَصْلٍ وَقَطْعٍ، وَحُبٍّ لِلنَّفْسِ وَمُعاداةٍ، وَأَمْنٍ وَخَوْفٍ، وَطَمَعٍ وَخَشْيَةٍ، وَحُبٍّ وَجُفاءٍ. يَتَجَلَّى لَكَ رَبُّكَ بِأَسْمَائِهِ، فَتَتَقَلَّبُ فِيهَا، لِتَتَعَرَّفَ عَلَيْهِ جَلَّ فِي عُلاهُ، وَلِتَتَعَرَّفَ عَلَى نَفْسِكَ

الرشفة الخامسة

كَيْفَ تَعْرِفُ أَنَّكَ عَلَى الطَرِيقِ؟ أَنْ يَكُونَ اللهَ هَمُّكَ

الرشفة السادسة

كَيْفَ تَعْرِفُ أَنَّكَ عَلَى الطَرِيقِ؟ أَنْ يَكُونَ قَلْبُكَ دَائماً فِي حِيرَةٍ وَاضْطِرَابٍ

وَلَا يَسْكُنُ القَلْبُ إِلَّا عِنْدَ الوُصُولِ. وَالوُصُولُ يَعْنِي اللِّقَاءَ

الرشفة السابعة

ثِقْ فِي طَرِيقِ اللهِ، يَتْسِعُ لَكَ

الرشفة الثامنة

اِلْتِفَاتُ القَلْبِ إِلَى مَتَاعِ الدُّنْيَا سَرِيعٌ، وَانْتِبَاهُهُ إِلَى طَرِيقِ اللهِ بَطِيءٌ

فَمَتَى انْتَبَهْتَ لِلْطَرِيقِ فَلَا تَشْغَلْ قَلْبَكَ بِغَيْرِهِ. فَإِنَّكَ إِذَا الْتَفَتَ صُرِفْتَ وَفُقِدْتَ

الرشفة التاسعة

ثُلَّةٌ مِنَ الأَوَّلِينَ وَقَلِيلٌ مِنَ الآَخِرِينَ: مَضَى طُوفَانُ المُقَرَّبِينَ السَّابِقِينَ، وَازْدَحَمَ الطَّرِيقُ بِهِمْ، وَوَصَلُوا إِلَى رَبِّهِمْ

ثُمَّ جَاءَ الآَخِرُونَ، قِلَّةٌ وَحِيدَةٌ، ضَعِيفٌ عَزْمُهُمْ، عَزِيزٌ مُرْشِدُهُمْ، كَثِيرٌ عَدُوُّهُمْ، يَمْلَؤُهُمْ الشَّوْقُ

الرشفة العاشرة

الطَّرِيقُ مُزْدَحِمَةٌ بِالآَلَامِ وَالأَفْرَاحِ. أَمَّا السِّمَةُ الرَّئِيسَةُ لِلطَّرِيقِ، وَاللَّوْنُ الحَاكِمُ لِلصُورَةِ فَهُمَا الإِطْمِئْنَانُ وَالإِسْتِمْتَاعُ

الرشفة الحادية عشر

كَيْفَ تَتَأَكَدَ مِنْ سَلَامَةِ الطَّرِيقِ؟

إِذَا غَلَبَتْكَ الأَحْوَالُ بِلَا شَطْحٍ، وَاجْتَزْتَ البَلْوَاءَ وَالنَّعْمَاءَ بِلَا شِرْكٍ

الرشفة الثانية عشر

وَقُودُكَ المُحَرِّكُ لَكَ هُوَ الادِّعَاءُ. فَكُلُّ ادِّعَاءٍ لَكَ لَابُدَّ لَهُ مِنْ اخْتِبَارٍ وَتَمْحِيصٍ.

وَالخَلْقُ بَيْنَ مُتَقَهْقِرٍ وَمُتَقَدِّمٍ وَمُتَعَطِّلٍ

الرشفة الثالثة عشر

جَوْهَرُ الطَّرِيقِ الإِفْتِقَارُ وَالطَّلَبُ

فَمَتَى رَأَيْتَ أَنَّكَ وَصَلْتَ، فَهُوَ التِّيهُ

وَمَتَى ظَنَنْتَ أَنَّكَ عَلِمْتَ، فَهُوَ الجَهْلُ

وَمَتَى اعْتَقَدْتَ بِعُلُوِّ الحَالِ وَالمَقَامِ، فَهُوَ السُّقُوطُ

الطَّرِيقُ لَا نِهَايَةَ لَهَا، وَبُحُورُ العِلْمِ لَا شُطَّآنَ وَلَا قِيعَانَ لَهَا، وَالزِّيَادَةُ وَالارْتِقَاءُ لَا سَقْفَ وَلَا حَدَّ لَهُمَا. فَأَنْتَ أَبَداً مُفْتَقِرٌ طَالِبٌ لِلْمَزِيدِ فِي الدُّنْيَا وَالبَرْزَخِ وَالمَحْشَرِ وَالجَنَّةِ

الرشفة الرابعة عشر

جَوْهَرُ الطَرِيقِ الفَقْرُ

وَالفَقْرُ لَا يَعْني فَقْرَ الدُّنْيَا؛ بَلْ فَقْرُ القَلْبِ

فَالمُقَرَّبُ لَا يُفَارِقُهُ الفَقْرُ حَتَّى وَإِنْ حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا بِمَا فِيها

فَهُوَ أَبَداً الفَقِيرُ إِلَى اللهِ، وَلَا يَسْتَغْني بِشَيْءٍ عَنْ اللهِ، وَاللهُ هُوَ الغَنِيُّ الحَمِيدُ

الرشفة الخامسة عشر

كَيْفَ بِطَرِيقٍ لَا نَهَايَةَ لَهُ

وَمَقَامَاتٍ وَأَحْوَالٍ وَأَفْهَامٍ وَمَعَانٍ لَا مُنْتَهَى لَهَا

وَغَايَةٍ لَا يُحَاطُ بَهَا

سَيْرٌ بِلَا خِتَامٍ، وَغَوْصٌ بِلَا مُسْتَقَرٍ، وَحَجٌّ بَلَا رَجْعَةٍ

ركن الاستقامة

الرشفة الأولى

مَنْ سَعَى إِلَى اللهِ بِصِفَاتِ الكَمَالِ فَقَطْ مَا قَدَرَهُ حَقَّ قَدْرِهِ

وَمَنْ سَعَى إِلَيْهِ بِصِفَاتِ الجَلَالِ فَقَطْ أَيْأَسَهُ الخَوْفُ مِنْ رَوْحِ اللهِ

وَمَنْ سَعَى إِلَيْهِ بِهِمَا فَهُوَ عَلَى طَرِيقِ الاِسْتِقَامَةِ

الرشفة الثانية

جَوَارِحُكَ

لَا تُهِنْهَا: فَلَا تَسْتَخْدِمْهَا فِي حَرَامٍ، وَلَا تَمُدَّهَا إِلَى زَهْرَةِ الحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَلَا تَكْسِرْ بِهَا قَلْباً، وَلَا تُنَازِعْ بِهَا حَقاً

أَكْرِمْهَا: وَاسْتَعْمِلْهَا فِي حَلَالٍ، وَمُدَّهَا إِلَى مَا يَصْحَبُكَ فِي الآخِرَةِ، وَاجْبُرْ بِهَا قُلُوبَ عِبَادِ اللهِ، وَأَقِمْ بِهَا الحَقَّ

الرشفة الثالثة

ذَرْوَةُ سَنَامِ الاسْتِقَامَةِ حُسْنُ الخُلُقِ

وَعَمُودُهَا حُسْنُ الظَّنِّ بِالخَلْقِ

وَأَدْنَاها كَفُّ الأَذى عَنْهُمْ

وَالطَّرِيقُ إِلَيْها مُرَاقَبَةُ تَفَاعُلَاتِ القَلْبِ والصِّدْقُ مَعَ النَفْسِ

ركن الرحمة

الرشفة الأولى

فَانْظُرْ إِلَى آَثَارِ رَحْمَةِ اللهِ: هَذَا مَا تَتَحَمَّلُهُ قُلُوبُنَا. أَمَّا رَحْمَةُ اللهِ فَمَنْ تَجَلَّتْ لَهُ خَرَّ قَلْبُهُ صَعِقاً

الرشفة الثانية

كُلُّ مَا حَوْلَكَ عَلَى الأَرْضِ رَحْمَةٌ. وَكُلُّ مَا يَعْتَمِلُ دَاخِلَكَ رَحْمَةٌ

وَإِدْرَاكُكَ لِبَعْضِ آَثَارِ رَحْمَةِ اللهِ رَحْمَةٌ مِنْهُ. وَاحْتِجَابُكَ عَنْ إِدْرَاكِ وَاسِعِ رَحْمَةِ اللهِ رَحْمَةٌ مِنْهُ

رَحَمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ

ركن الزهد

الرشفة الأولى

الدُّنْيَا كَدَرُهَا قَرِيبٌ وَهَنَاءُهَا قَصِيرٌ. وَمَا مِنْ سَرَّاءَ فِيهَا إِلَّا وَيَشُوبُهَا نَقْصٌ وَكَدَرٌ

فَاعْبُرْهَا مُتَفَكِّراً فِي جَمِيلِ صَنْعَتِهِ، وَلَا تَنْشَغِلْ بِالصَّنْعَةِ عَنْ الصَّانِعِ

الرشفة الثانية

لَيْسَ الْبَلَاءُ بِمُهْلِكٍ أَوْ قَاتِلٍ إِنَّ الْبَلَاءَ إِلَى الْيَقِينِ دَلِيلُ

الرشفة الثالثة

كُلَّمَا قَلَّتْ حِيلَتُكَ، رَأَيْتَ عَظِيمَ عَطَائِهِ. وَكُلَّمَا انْقَطَعَتْ بِكَ السُّبُلُ، أَبْصَرْتَ مَفْتُوحَ أَبْوَابِ تَوْفِيقِهِ

الرشفة الرابعة

إِنَّمَا الدُّنْيا صَبْرُ سَاعَةٍ

الرشفة الخامسة

طَرِيقُكَ إِلَى الصَّبْرِ أَنْ تَعْلَمَ

أَنَّ اللهَ هُوَ الْعَالِمُ وَالْمَعْلُومُ[1]

وَهُوَ الْعَارِفُ وَالْمَعْرُوفُ

وَهُوَ الْمُحِبُّ وَالْمَحْبُوبُ

وَهُوَ الْمُرِيدُ وَالْمُرَادُ

فَمَا ثَمَّ إِلَّا فَعْلُهُ وَوَصْفُهُ

فَتَصَبَّرْ بِهِ عَلَى الطَّرِيقِ إِلَيْهِ

[1] الله سبحانه وتعالى ليس معلوماً ولا معروفاً، إذ ليس كمثله شيء ولا تدركه الأبصار، وإنما المقصود هنا النسبة إلى العباد، فهو غاية علمهم ومنتهى معرفتهم، فغاية مقصدهم العلم به جل وعلا، فما معلوم لهم على الحقيقة سواه، ونهاية أملهم معرفته جل ثناؤه، فما معروف لهم على الحقيقة غيره. وكل ما دونه تبارك وتعالى هو ظل زائل، وعلم فان، ومعرفة ذاهبة.

الرشفة السادسة

عَالَمُ الغَيْبِ بِحَقَائِقِهِ أَثْبَتُ وَأَظْهَرُ مِنْ عَالَمِ الشَّهَادَةِ بِظِلَالِهِ

فَمَنْ فُتِحَتْ لَهُ كُوَّةٌ إِلَى عَالَمِ الغَيْبِ، تَلَاشَتْ عَنْهُ دُنْيَاهُ بِقَدْرِ مَا فُتِحَ لَهُ

فَإِذَا حَضَرَ المَوْتُ، وَفُتِحَ الغَيْبُ عَلَى مِصْرَاعَيْهِ، تَلَاشَتْ دُنْيَاهُ بِالكُلِّيَةِ

فَإِذَا تَجَلَّتْ حَقَائِقُ عَالَمِ الغَيْبِ عَلَى ظِلَالِ عَالَمِ الشَّهَادَةِ، اِنْدَثَرَتْ الدُّنْيَا وَكَانَ يَوْمَ القِيَامَةِ

الرشفة السابعة

لِكُلِّ شَيْءٍ ضِدَّاً. وَلِكُلِّ مُبْتَدَأٍ نِهَايَةً. وَلِكُلِّ حَالٍ غَايَةً

فَمَا مَنْ بَلَاءٍ إِلَّا وَتَغْشَاهُ نِعْمَةٌ. وَمَا مِنْ بَلِيَّةٍ أَقْبَلَتْ إِلَّا وَلَهَا إِدْبَارٌ وَانْتِهَاءٌ. وَمَا مِنْ حَالِ بَلَاءٍ أَوْ نِعْمَةٍ إِلَّا وَرِسالةٌ مَحْمُولَةٌ إِلَيْكَ، إِنْ أَدْرَكْتَ غَايَتَهَا تَرَقَّيْتْ، وَإِنْ غَفَلْتَ عَنْهَا تَرَدَّيْتْ

الرشفة الثامنة

المَسُّ بِالسَرَّاءِ وَالضَرَّاءِ لَا يُنْشِئُ فِي القَلْبِ صِفَةً؛ وَإِنَّمَا يُحَرِّكُ مَا هُوَ مَخْزُونٌ فِي القَلْبِ مِنْ صِفَاتٍ

فَمَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ سَخَطٌ، أَوْ كِبْرٌ، أَوْ سُوءُ ظَنٍّ، أَوْ قَسْوَةٌ وَغِلْظَةٌ، بَرَزَ ذَلِكَ عَلَى ظَاهِرِهِ

وَمَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ رِضَىً، أَوْ تَوَاضُعٌ، أَوْ حُسْنُ ظَنٍّ، أَوْ رَحْمَةٌ وَلِينٌ، بَرَزَ ذَلِكَ عَلَى ظَاهِرِهِ

فَأَوْلُ مَا يَبْرُزُ لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّهُ مَادَةُ قَلْبِكَ

فَإِنْ وَجَدْتَ خَيْراً، فَاشْكُرْ اللهَ، وَاطْلُبْ الزِّيَادَةَ

وَإِنْ وَجَدْتَ سُوءاً، فَافْطُمْ نَفْسَكَ عَنْهُ، وَاطْلُبْ الهِدَايَةَ

فَإِنْ فَعَلْتَ فَقَدْ شَهِدْتَ الحِكْمَةَ وَتَرَقَّيْتَ، وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ أَحَاطَ بِكَ سُرَادِقُ الإِبْتِلَاءِ وَتَرَدَّيْتْ

الرشفة التاسعة

لِلْمَوْتِ نَزْعَانِ

نَزْعُ الرُوحِ بِإِخْرَاجِهَا مِنَ الجَسَدِ، وَنَزْعُ النَّفْسِ بِإِخْرَاجِهَا مِنَ الدُّنْيَا وَمُعَايَنَةِ الآخِرَةِ

فَمَنْ أَرَادَ أَنْ يُخَفَّفَ عَلَيْهِ عِنْدَ مَوْتِهِ، فَلْيُخْرِجْ نَفْسَهُ مِنْ دُنْيَاهُ، وَلْيَشْهَدْ بِقَلْبِهِ مَا يَفْتَحُ اللهُ لَهُ مِنْ عَوَالِمِ الغَيْبِ. فَلَا يَبْقَى لَهُ عِنْدَ المَوْتِ سِوَى نَزْعٌ وَاحِدٌ

الرشفة العاشرة

أَوَلُ الزُّهْدِ امْتِنَاعٌ مَعَ تَعَلُّقٍ بِالمُمْتَنَعِ عَنْهُ. فَهُوَ مُجَاهَدَةُ القَلْبِ وَالجَوَارِحِ

وَأَوْسَطُهُ امْتِنَاعٌ مَعَ تَذَكُّرٍ لِلْمُمْتَنَعِ عَنْهُ. فَهُوَ مُجَاهَدَةُ القَلْبِ

وَأَعْلَاهُ امْتِنَاعٌ مَعَ نِسْيَانٍ لِلْمُمْتَنَعِ عَنْهُ. فَلَيْسَ مِنْ هَمِّ سِوَى اللهُ. وَهَذَا هُوَ الزُّهْدُ فَمَنْ كَانَ فِي أَوَّلِهِ وأَوْسَطِهِ فَهُوَ مُتَزَهِّدٌ، وَمَنْ بَلَغَ أَعْلَاهُ فَهَذَا هُوَ الزَّاهِدُ

الرشفة الحادية عشر

أَشَدُّ عُقُوبَةٍ فِي الدُّنْيَا تَعَلُّقُ القَلْبِ وَسَعْيُهُ فِيمَا لَمْ يَقْسِمْهُ اللهُ لَكَ

الرشفة الثانية عشر

شَهْوَةُ النَّفْسِ وَهَوَاهَا لَا تُجَاوِزُ لَذَّتُهَا حُدُودَ النَّفْسِ وَالجَوَارِحِ، فَهِيَ تَعَلُّقُ القَلْبِ بِمُتْعَةٍ لَهَا مَدَاهَا وَمُنْتَهَاهَا

أَمَّا حُبُّ اللهِ فَمَنْبَتُهُ القَلْبُ، وَجُذُورُهُ فِي الرُّوحِ، وَلَذَّتُهُ لَا حُدُودَ لَهَا. فَهُوَ تَعَلُّقُ القَلْبِ بِمَحْبُوبٍ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ، لَا أَمَدَ لَهُ وَلَا مُبْتَدَأَ وَلَا مُنْتَهَى

فَمَنْ سَعَى إِلَى الحُبِّ، ظَفَرَ بِالزُّهْدِ

الرشفة الثالثة عشر

حَقِيقَةُ الزُّهْدِ أَلَّا تَمْلِكَ شَيْئاً وَلَا يَمْلِكُكَ شَيْءٌ

وَالتَمَلُّكُ كُلُّهُ فِعْلُ القَلْبِ

الرشفة الرابعة عشر

مَنْ أَطْفَأَ نُورُ قَلْبِهِ نِيرَانَ شَهَوَاتِ نَفْسِهِ وَهَوَاهَا فِي الدُّنْيَا،

أَطْفَأَتْ أَنْوَارُهُ لَهَبَ النِّيرَانِ عَلَى الصِّرَاطِ فَنَجَا

وَمَنْ خَرَجَ مِنَ الدُّنْيَا وَقَلْبُهُ مُشْتَعِلٌ بِالشَّهَوَاتِ وَالهَوَى،

اشْتَعَلَ الصِّرَاطُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَهَوَى

فَسُرْعَتُكِ وَبُطْؤكَ وَنَجَاتُكَ وَسُقُوطُكَ عَلَى قَدْرِ مَا تُخْمِدُ مِنْ شَهَوَاتِ وَهَوَى نَفْسِكَ

الرشفة الخامسة عشر

لَا تَغْفَلْ عَنْ قَلْبِكَ وَاشْدُدْ مُرَاقَبَتِهِ. فَإِذَا لَمَحْتَ فِيهِ تَطَلُّعاً خَفِيَّاً أَوْ تَعَلُّقاً مُسْتَتِراً

بِشَيءٍ سِوَى اللهِ، أَمَلاً فِي تَحْصِيلِ مَنْفَعَةٍ أَوْ دَفْعِ مَضَرَّةٍ، أَوْ جَلْبِ سَعَادَةٍ أَوْ نَجَاةٍ

مِنْ غَمٍّ، فَفِرْ مِنْ هَذَا الشَّيءِ، وَادْفَعْ قَلْبَكَ عَنْهُ

الرشفة السادسة عشر

إِذَا اشْتَهَتْ نَفْسُكَ مَا لَا تَقْدِرُ عَلَيْهِ، فَلَا تَقْتَرِضْ مِنْ غَيْرِكَ

بَلْ اقْتَرِضْ مِنْ نَفْسِكَ بَعْضاً مِنْ صَبْرِهَا، وَجُزْءاً مِنْ اسْتِغْنَائِهَا، وَشَطْراً مِنْ تَعَفُّفِهَا

الرشفة السابعة عشر

الِافْتِقَارُ إِلَى اللهِ بَابُكَ إِلَيْهِ

وَالِاسْتِغْنَاءُ بِاللهِ وُصُولُكَ إِلَيْهِ

ركن الخدمة

الرشفة الأولى

خِدْمَةُ الخَلْقِ عَلَى أَرْبَعٍ

فَخِدْمَةُ النَّفْسِ حُبّاً لِنَيْلِ الحَمْدِ وَالثَّنَاءِ مِنَ الخَلْقِ

وَخِدْمَةُ الإيمَانِ طَمَعاً فِي الثَّوَابِ وَالنَّعِيمِ

وَخِدْمَةُ البِرِّ رَجَاءَ الحُبِّ وَالقُرْبِ

وَخِدْمَةُ القُرْبِ تَحْقِيقِ مُرَادِ اللهِ ﴿وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي﴾

وَعُمُومُ السَائِرِينَ يَتَقَلَّبُونَ فِي خِدْمَتِهِمْ للخَلْقِ بَيْنَ هَذِهِ الأَرْبَعِ مَعَ غَلَبَةِ أَحَدِهَا فِي العُمُومِ. فَهُمْ مَا بَيْنَ أَصْحَابِ هَوىً ومُؤْمِنِينَ وَأَبْرَارَ وَمُقَرَّبِينَ

ركن الاستماع

الرشفة الأولى

إِنَّ اللهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ: الإِنْصَاتُ دَابَتُكَ تَقْطَعُ بِهَا الطَرِيقَ. وَكَلَامُكَ سِكِّينُكَ تَعْقِرُ بِهِ دَابَّتَكَ

الرشفة الثانية

يَتَفَاوَتُ العِبَادُ فِي مَقَامَاتِهِمْ وَأَحْوَالِهِمْ وَسَلَامَةِ قُلُوبِهِمْ وَزَكَاةِ نُفُوسِهِمْ. وَبِقَدْرِ هَذا الاخْتِلَافِ يَتَبَايَنُ العِبَادُ فِي دَرَجَاتِ اسْتِمَاعِهِمْ وَتَلَقِّيهِمْ

فَارْفُقْ بِنَفْسِكَ وَبِمَنْ حَوْلَكَ. فالمُسْتَمَعُ وَاحِدٌ وَالمُسْتَمِعُونَ شِعَابٌ وَأَوْدِيَةٌ وَسُهُولٌ وَبِحَارٌ وقِفَارٌ

الرشفة الثالثة

مِنْ أَعْلَى دَرَجَاتِ الإِسْتِمَاعِ الإِنْصَاتُ إِلَى حَرَكَةِ القَلْبِ. فَتَسْمَعُ دَبِيبَ الحَسَدِ أَوْ الكُرْهِ أَوْ الغِلِّ أَوْ الحِقْدِ أَوْ العُجْبِ وَهُوَ يَنْدَسُّ فِي العُرُوقِ مُتَخَفِّياً مُتَسَرِّباً إِلَى القَلْبِ. وَتَسْمَعُ خَفِيَّ المَعْرَكَةِ الدَائِرَةِ بَيْنَ حُرَّاسِ قَلْبِكَ وَبَيْنَ دَنِيِّ الصِفَاتِ مُحَاوِلِينَ مَنْعَهُمْ مِنَ النَفَاذِ إِلَى القَلْبِ. ثُمَّ تَسْمَعُ صَوْتَ انْتِصَارِهِمْ فَتَحْمَدُ اللهَ أَوْ صَوْتَ هَزِيمَتِهِمْ فَتَفِرُ إِلَى اللهِ فِرَارَ العَاجِزِ الحَائِرِ المُضْطَرِّ

الرشفة الرابعة

أَدْنَى دَرَجَاتِ الإِسْتِمَاعِ سُكُوتُ اللِسَانِ، وَأَعْلَاهَا سُكُوتُ العَقْلِ

فَمَنْ أَسْكَتَهُمَا اتَّبَعَ قَلْبُهُ أَحْسَنَ مَا سَمِعَ، وَمَنْ لَمْ يُسْكِتْهُمَا صُمَّ قَلْبُهُ فَتَبِعَ هَوَاهُ

الرشفة الخامسة

لَا تُجَالِسْ أَحَداً فِي سَفَرٍ أَوْ سَكَنٍ أَوْ دَرْسٍ أَوْ عَمَلٍ إِلَّا بِقَلْبِ مُتَعَلِّمٍ مُتَلَقٍّ. فَمَنْ جَلَسَ بِقَلْبِ مُتَعَلِّمٍ اِسْتَمَعَ فَارْتَقى، وَمَنْ جَلَسَ بِقَلْبِ مُعَلِّمٍ تَكَلَّمَ فَكَبَا. فَالإِسْتِمَاعُ كُلُّهُ خَيْرٌ، وَالكَلَامُ بَعْضُهُ خَيْرٌ

الرشفة السادسة

لِلْمُسْتَمِعِ بِكُلِّ لِقَاءٍ أَوْ سَفَرٍ أَوْ حَدَثٍ مَزِيدٌ. فَكُنْ دَوْماً فِي ازْدِيَادٍ

الرشفة السابعة

الإِسْتِمَاعُ إِمَّا أَنْ يُثِيرَ فِي القَلْبِ حُزْناً أَوْ شَوْقاً، وَبِهِمَا يَفِيضُ رَحْمَةً

أَوْ أَنْ يَقْذِفَ فِي القَلْبِ عِلْماً أَوْ فِكْرَةً، وَبِهِمَا يَفِيضُ حِكْمَةً

فَالمُسْتَمِعُ عَبْدٌ اجْتَمَعَ فِي قَلْبِهِ الحِكْمَةُ وَالرِقَّةُ، وَالعِلْمُ وَالرَّحْمَةُ

ركن العبادات

الرشفة الأولى

الصَلَاةُ بَابُ العِلْمِ وَالرَحْمَةِ. فَبِقَدْرِ ما تُقِيمُهَا يُفْتَحُ لَكَ

الرشفة الثانية

فَرَائِضُ اللهِ بَابُ الطَّرِيقِ، وَالنَّفْلُ وَالتَطَوُّعُ زَادُكَ وَدَابَتُكَ

فَمَنْ تَاهَ عَنْ البَابِ، لَمْ يَصِلْ بِهِ الزَّادُ ولَا المَطِيَّةُ

وَمَنْ وَجَدَ البَابَ وَقَلَّ زَادُهُ وَضَعُفَتْ دَابَتُهُ، لَمْ يَقْطَعْ مِنْ الطَّرِيقِ مَا كَانَ يُؤَمِّلُ

الرشفة الثالثة

لَيْسَتْ الكَرَامَةُ فِي إِجَابَةِ الدُّعَاءِ؛ وَإِنَّمَا فِي أَنْ تُلْهَمَ الدُعَاءُ

الرشفة الرابعة

كَيْفَ أَدْعُو وَمَاذَا أَطْلُبُ

فَاللهُ لَا يُحَاطُ بِهِ عِلْماً وَلَا مَعْرِفَةً وَلَا ذَوْقاً وَلَا حُبّاً

وَالْقُرْبُ مِنْهُ لَا نِهَايَةَ لَهُ،

فَكُلُّ قُرْبٍ يَلِيهُ قُرْبٌ، وَكُلُّ مَقَامٍ يَعْلُوهُ مَقَامٌ،

وَكُلُّ اسْتِغْرَاقٍ يُسْفِرُ عَنْ اسْتِغْرَاقٍ، وَكُلُّ وُصُولٍ يَعْقُبُهُ ابْتِدَاءٌ

وَالْقُلُوبُ لَنْ تُعْطَى إِلَّا عَلَى قَدْرِ مَا أَعْطَاهَا اللهُ مِنْ طَاقَةِ الْفَهْمِ وَالذَّوْقَ وَالتَّوْحِيدِ وَالْمَعْرِفَةِ

رِحْلَةٌ إِلَيْهِ بِلَا حَوْلٍ، وَشَوْقٌ إِلَيْهِ بِلَا عِلْمٍ

وَسَيْرٌ إِلَيْهَ بِلَا أَيْنَ، وَرَغْبَةٌ إِلَيْهِ بِلَا كَيْفَ،

فَاللَّهُمَّ رَبِّي.. اللَّهُمَّ رَبِّي.. اللَّهُمَّ رَبِّي

الرشفة الخامسة

يَتَعَبَدُ اِلْمُؤْمِنُ فِي سَعْيِهِ إِلَى الرِزْقِ بِأَحَدِ طَرِيقَيْنِ

سَعْيُ الطَّلَبِ بِتَحَرّي أَسْبَابِ الرِّزْقِ وَمَوَاطِنِهِ وَإِحْسَانِ التَّوَكُّلِ ﴿فَانْتَشِرُوا فِي الأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللهِ﴾

وَسَعْيُ التَّرْكِ بِتَحَرّي التَّعَلُقِ بِاللهِ وَفَرَاغِ القَلْبِ عَمَّا سِوَاهُ ﴿قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللهِ﴾

أَمَّا سَعْيُ الطَّلَبِ فَيَقْدِرُ عَلَيْهِ كُلُّ مُؤْمِنٍ، فَيَفْتَحُ اللهُ لَهُ أَبْوَابَ الرِّزْقِ

وَأَمَّا سَعْيُ التَّرْكِ فَلَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ إِلَّا المُقَرَّبُونَ، فَيَفْتَحُ اللهُ لَهُمْ خَزَائِنَ السَمَاوَاتِ وَالأَرْضِ يَغْتَرِفُونَ مِنْهَا كَيْفَ شَاءُوا

وَالطَّلَبُ وَالتَّرْكُ كِلَاهُمَا سَعْيٌ. وَمَنْ أَخَذَهُمَا بِقُوَّةٍ وَوَفَّى حَقَّهُمَا رُزِقَ

الرشفة السادسة

يَا بَاغِيَ الرِّزْقِ بِالأَسْبَابِ مُتَّكِلا لَيْسَ التَّوَكُّلَ إِلَى الأَسْبَابِ مَرْكُونُ

حَقُّ التَّوَكُّلِ تَوْحِيدٌ بِلَا شِرْكٍ وَالرِّزْقُ وَعْدٌ مِنَ الوَهَّابِ مَضْمُونُ

أَقْبِلْ بِقَلْبِكَ عَلَى الرَّزَّاقِ مُرْتَجِيا قَلْباً سَلِيماً بِحُبِّ اللهِ مَسْكُونُ

تُقْبِلْ عَلَيْكَ الدُّنَى مِنْ كُلِّ زَاوِيَةٍ وَالرِّزْقُ يَسْعَى إِلَيْكَ وَأَنْتَ مَأْمُونُ

الرشفة السابعة

سَعْيُ التَّرْكِ إِمَّا أَنْ يَفْتَحَ لَكَ بَابَ القُدْرَةِ الإِلَهِيَّةِ أَوْ بَابَ الحِكْمَةِ الرَبَّانِيَّةِ

فَفَتْحُ بَابِ قُدْرَتِهِ أَنْ يَرْزُقَكَ اللهُ بِقُدْرَتِهِ بِغَيْرِ حِسَابٍ مِنْ حَيْثُ لَا تَحْتَسِبُ

وَفَتْحُ بَابِ حِكْمَتِهِ أَنْ يَرْزُقَكَ اللهُ رِضاً وَصَبْراً وَقَنَاعَةً، وأَنْ يَرْفَعَ عَنْ قَلْبِكَ هُمُومَ الدُّنْيَا

فَتَغْتَنِي عَنْ كُلِّ طَلَبٍ، وتَرْتَفِعَ فَوْقَ كُلِّ طَالِبٍ

الرشفة الثامنة

سَعْيُكَ فِي الأَرْضِ لَيْسَ لِتَحْصِيلِ الرِّزْقِ؛ وَإِنَّمَا اِمْتِثَالاً لِأَمْرِ اللهِ بِعِمَارَتِهَا وَالسَّيْرِ فِيهَا وَاسْتِكْشَافِ مَا سُخِّرَ لَكَ مِنْهَا

أَمَّا رِزْقُكَ فَهُوَ مَوْعُودُ اللهِ لَكَ، وَلَا تَعَلُّقَ لَهُ بِالسَّعْيِ؛ وَإِنَّمَا بِالتَقْوَى وَالإِحْسَانِ

ركن الذكر والخلوات

الرشفة الأولى

إِذَا انْهَمَرَتْ أَمْطَارُ ذِكْرِ (لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ)، نَبَتَ التَّوْحِيدُ فِي القَلْبِ صَافِياً صَحِيحاً مُخْضَرَّاً

الرشفة الثانية

لِيَكُنْ ذِكْرُكَ تَبَعاً لِحَالِكَ

فَلِلْخَوْفِ هَجْمَةٌ. فَإِذَا غَمَرَكَ فَلَا تُقَاوِمْهُ بِالرَّجَاءِ وَحُسْنِ الظَّنِّ؛ وَإِنَّمَا اغْتَنِمْهُ بِذِكْرِ الذُّنُوبِ وَطَلَبِ المَغْفِرَةِ وَالرَّحْمَةِ وَالنَّجَاةِ وَالسَّلَامَةِ

وَلِلرَّجَاءِ هَجْمَةٌ. فَإِذَا تَمَكَّنَ مِنْكَ فَلَا تُقَاوِمْهُ بِالخَوْفِ وَسُوءِ الظَّنِّ؛ وَإِنَّمَا اغْتَنِمْهُ بِذِكْرِ الجَنَّةِ وَطَلَبِ نَعِيمِهَا وَالفِرْدَوْسِ الأَعْلَى مِنْهَا

وَلِحُبِّ اللهِ هَجْمَةٌ. فَإِذَا مَلَأَ عَلَيْكَ شِغَافَ قَلْبِكَ فَاعْلَمْ أَنَّ رَبَكَ يَنْظُرُ إِلَيْكَ مُحِبَّاً لَكَ فَتَأَدَبْ. فَلَا يَنْشَغِلْ قَلْبُكَ حِينَهَا بِسِوَاهُ. فَلَا ذِكْرٌ لِجَنَّةٍ وَلَا نَارٍ، وَلَا لِذُنُوبٍ وَلَا اسْتِغْفَارٍ؛ وَإِنَّمَا ذِكْرُ الوَدُودِ بِأَسْمَائِهِ الحُسْنَى وَ"لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ"

وَهَكَذَا فِي كُلِّ أَحْوَالِكَ

الرشفة الثالثة

الذِّكْرُ عَلَى أَرْبَعَةِ أَنْوَاعٍ

ذِكْرُ الأَنْوَارِ، بِهِ تُكْسَى القُلُوبُ وَالنُّفُوسُ وَالأَجْسَادُ وَالعُقُولُ بِالأَنْوَارِ. وَرَأْسُهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَالاِسْتِغْفَارُ وَالصَّلَاةُ عَلَى الحَبِيبِ رَسُولِ اللهِ ﷺ

ذِكْرُ الأَسْرَارِ، بِهِ تَتَقَلَّبُ القُلُوبُ وَالنُّفُوسُ وَالعُقُولُ فِي المَقَامَاتِ وَالعُلُومِ. وَرَأْسُهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَسْمَاءُ اللهِ الحُسْنَى

ذِكْرُ الأَحْوَالِ، بِهِ تَعْمُرُ القُلُوبَ المَعَانِي وَالأَحْوَالُ وَإِدْرَاكَاتُ الحَقَائِقِ، وَرَأْسُهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَمَا يَلِيقُ بِالحَالِ

ذِكْرُ التَّهْذِيبِ، بِهِ تُتَقَّى القُلُوبُ وَالنُّفُوسُ مِنْ أَمْرَاضِهَا وَشَهَوَاتِهَا، وَرَأْسُهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَمَا يُعَالِجُ الدَاءَ

الرشفة الرابعة

مَنْ أَرَادَ إِدْرَاكَ حَالَ العُبُودِيَّةِ فَلْيُكْثِرْ مِنْ ذِكْرِ "إِنِّي عَبْدُ اللهِ"

وَمَنْ أَرَادَ إِدْرَاكَ حَالَ التَّوْحِيدِ فَلْيُكْثِرْ مِنْ ذِكْرِ "لَا شَيءَ غَيْرُ اللهِ"

وَمَنْ أَرَادَ إِدْرَاكَ حَالَ الحُبِّ فَلْيُكْثِرْ مِنْ ذِكْرِ "يَا الله" "هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًا"

وَمَنْ أَرَادَ إِدْرَاكَ حَالَ الخَوْفِ فَلْيُكْثِرْ مِنْ ذِكْرِ "فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا"

وَمَنْ أَرَادَ إِدْرَاكَ حَالَ الرَّجَاءِ فَلْيُكْثِرْ مِنْ ذِكْرِ "إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ"

الرشفة الخامسة

مَنْ أَرَادَ تَعْلِيمَ قَلْبِهِ الاسْتِمَاعَ فَلْيُكْثِرْ مِنْ ذِكْرِ "إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ"

وَمَنْ أَرَادَ تَنْقِيَةَ قَلْبِهِ من حَسَدِ الخَلْقِ عَلَى نِعْمَةٍ أَصَابَتْهُمْ فَلْيُكْثِرْ مِنْ ذِكْرِ "الحَمْدُ للهِ أَشْهَدَنِي تَنَزُّلَ نِعْمَتِهِ"

وَمَنْ أَرَادَ نَزْعَ الحُزْنِ وَالحَسْرَةِ مِنْ قَلْبِهِ فَلْيُكْثِرْ مِنْ ذِكْرِ "اللهُ يَعْلَمُ وَلَا أَعْلَمُ"

وَمَنْ أَرَادَ نَزْعَ الكِبْرِ مِنْ قَلْبِهِ فَلْيُكْثِرْ مِنْ ذِكْرِ "أَنَا أَقَلُّ العَبِيدِ"

الرشفة السادسة

لِلذِّكْرِ آدَابٌ

أَوَّلُهَا آدَابُ الجَوَارِحِ، وَمِنْهَا الوُضُوءُ وَاسْتِقْبَالُ القِبْلَةِ إِنْ أَمْكَنَ وَالجُلُوسُ مُطْمَئِنّاً فِي ثَوْبٍ طَاهِرٍ. فَإِنْ كُنْتَ رَاكِباً أَوْ مَاشِياً فَلْتَحْفَظْ سَمْعَكَ وَنَظَرَكَ

وَثَانِيهَا آدَابُ القَلْبِ، وَمِنْهَا تَأَمُّلُ مَعَانِي الذِّكْرِ وَتَذَكُّرُ الذُّنُوبِ وَالصَّالِحَاتِ وَمَا وَعَدَ اللهُ مِنْ النَّعِيمِ وَالوَعِيدِ

وَثَالِثُهَا آدَابُ المَعْرِفَةِ، وَمِنْهَا حُسْنُ اخْتِيَارِ الذِّكْرِ لِمُنَاسَبَةِ الحَالِ وَالتَجَلِّي الإِلَهِي

وَرَابِعُهَا آدَابُ التَّوْحِيدِ، وَهِيَ ذِكْرُ اللهِ بِمُرَادِ اللهِ مِنَ الذَّاكِرِ المُتَحَقِقِ بِالتَّوْحِيدِ

فَالذَّاكِرُ بِاللِسَانِ مُسْلِمٌ يَتَأَدَّبُ بِآدَابِ الجَوَارِحِ وَيَرْجُو ذِكْرَ القَلْبِ

وَالذَّاكِرُ بِالقَلْبِ مُؤْمِنٌ، يَتَأَدَّبُ بِآدَابِ القَلْبِ وَيَرْجُو ذِكْرَ المَعْرِفَةِ

وَالذَّاكِرُ العَارِفُ مُحْسِنٌ، يَتَأَدَّبُ بِآدَابِ المَعْرِفَةِ وَيَرْجُو ذِكْرَ التَّوْحِيدِ

وَالذَّاكِرُ المُوَحِّدُ مُقَرَّبٌ، غَارِقٌ فِي بِحَارِ التَجَلِّيَاتِ وَالأَنْوَارِ، لَا رَجَاءَ لَهُ

الرشفة السابعة

لَا تَشَقَّقُ الحِجَارَةُ بِعُنْفِ قَطَرَاتِ المَاءِ؛ وَإِنَّمَا بِتِكْرَارِهَا

وَذِكْرُ اللِسَانِ قَطَرَاتٌ مِنْ نُورٍ. لَا تَزَالُ تَضْرِبُ قَلْبَكَ حَتَّى يَرِقَ وَيَلِينَ

ركن العلوم والواردات

الرشفة الأولى

كُلُّ كَشْفٍ أَوْ إِلْهَامٍ وَرَدَ عَلَيْكَ فَوَجَدْتَ إِدْرَاكَكَ وَعَقْلَكَ يُحَاكِمُهُ، فَاعْلَمْ أَنَّ قَلْبَكَ مَشْغُولٌ لَمْ يُحْسِنِ الاِسْتِمَاعَ

وَكُلُّ كَشْفٍ أَوْ إِلْهَامٍ وَثَبَ عَلَيْكَ وَغَابَ عَنْهُ إِدْرَاكَكَ وَعَقْلَكَ، فَاعْلَمْ أَنَّ قَلْبَكَ مُنْصِتٌ يُحْسِنُ الاِسْتِمَاعَ

وَتَتَقَلَّبُ القُلُوبُ مَا بَيْنَ الاِنْشِغَالِ وَالإِنْصَاتِ، فَمَنْ كَثُرَ إِنْصَاتُهُ وَصَلَ، وَمَنْ كَثُرَ انْشِغَالُهُ وَقَفَ

الرشفة الثانية

كُلُّ كَشْفٍ أَوْ إِلْهَامٍ وَرَدَ عَلَيْكَ فَهُوَ قَطْعِيُ الوُرُودِ، ظَنِّيُ الدَلَالَةِ، لِتَدَاخُلَاتِ الطَّبْعِ وَالهَوَى وَالإِرَادَاتِ وَالأَمَانِي، وَهَذَا حَالُ ثُلَّةِ العَابِدِينَ

فَمَنْ فَنَيَ عَنْ نَفْسِهِ، وَمَاتَ عَنْ هَوَاهُ وَإِرَادَتِهِ وَأَمَانِيهِ، فَمَا يَرِدُ عَلَى قَلْبِهِ يَكُونُ قَطْعِيَ الوُرُودِ، قَطْعِيَ الدَلَالَةِ، وَهَذَا حَالٌ عَزِيزٌ

الرشفة الثالثة

الكَشْفُ طَالِبٌ لَا مَطْلُوبٌ

فَمَنْ اجْتَهَدَ فِي طَلَبِهِ أُوقِفَ عَلَى شَاطِئِهِ، وَلَمْ يُدْرِكْ قَلْبُهُ إِلَّا جَمِيلَ مَنْظَرِهِ

أَمَّا صَاحِبُ القَلْبِ المُنْصِتِ، فَالكَشْفُ يَطْلُبُهُ، وَيُلْقِي بِهِ فِي أَعْمَاقِ بَحْرِهِ، فَيَغْتَرِفَ قَلْبُهُ مِنْ كُنُوزِ مَعَانِيهِ

الرشفة الرابعة

القَلْبُ الصَّالِحُ المُتَفَرِّقُ مُحَالٌ أَنْ يُغَادِرَ شَوَاطِئَ الكَشْفِ

وَالقَلْبُ المُوَحِّدُ المُجْتَمِعُ يَغُوصُ فِي بُحُورِ الأَسْرَارِ وَالمَعَانِي

الرشفة الخامسة

كَيْفَ لِمَنْ لَمْ يَعْرِفْ نَفْسَهُ أَنْ يُفَرِّقَ بَيْنَ الإِلْهَامِ وَالوَسَاوِسِ، وَبَيْنَ خَوَاطِرِ الحَقِّ وَهَوَاجِسِ النَّفْسِ

فَالوَسَاوِسُ وَالهَوَاجِسُ تَأْتِي مُطَابِقَةً لِصِفَاتِ النَّفْسِ. فَمَنْ لَمْ يَتَعَرَّفْ عَلَيْهَا أَتَاهُ الشَّيْطَانُ بِرِدَاءِ جِبْرِيلَ

الرشفة السادسة

فَالحَـــالُ مَعْنـــىً بِالقُلُـــوبِ تَنَـــزَّلُ ... وَيَـدُومُ سَاعَـاتٍ وَيَوْمـاً أَوْ شُهُـــورْ

وَالنَّفْـــسَ يَسْبِـــرُهَا لِيُـدْرِكَ سِـــرَّهَـــا ... فَيَحُـلُّ لُغْـزَاً ثُـــمَ يَأْفُـلُ فِـي دُثُـــورْ

وَطَرِيقُـهُ ذِكْـــرٌ وَفِكْـــرٌ وَاخْتِـــلَاءْ ... وَنَصِيحَـةُ الشَيْخِ البَصِيرِ هِيَ الشُذُورْ

ادْفِـنْ وُجُـودَ الحَـالِ لَا تُخْبِـــرْ بِـــهِ ... وَاصْبِـرْ عَلَى لَوْعَاتِـهِ حَتَـى يَغُـورْ

الرشفة السابعة

مَنْ أَرَادَ التَّحَقُّقَ بِالعِلْمِ الظَّاهِرِ فَلَا يَقْبَلُ عَقْلُهُ المُفَكِّرُ إِلَّا بِمَا اتَّصَلَ إِسْنَادُهُ بِنَقْلِ العَدْلِ الضَّابِطِ عَنْ العَدْلِ الضَّابِطِ إِلَى مُنْتَهَاهُ، وَلَا يَكُونُ شَاذّاً وَلَا مُعَلَّلاً.

وَمَنْ أَرَادَ التَّحَقُّقَ بِالعِلْمِ الباطن فَلَا يَقْبَلُ قَلْبُهُ الشَّاهِدُ إِلَّا بِمَا اتَّصَلَ إِسْنَادُهُ بِنَقْلِ القَلْبِ الشَّاهِدِ عَنْ القَلْبِ الشَّاهِدِ إِلَى مُنْتَهَاهُ، وَلَا يَكُونُ مُنَاقِضاً وَلَا نَافِياً لِأُصُولِ الشَّرِيعَةِ.

الرشفة الثامنة

لَا يَكُنْ انْبِسَاطُكَ بِالحَالِ أَوْ المَقَامِ الجَدِيدِ انْبِسَاطَ قَرَارٍ؛ وَإِنَّمَا انْبِسَاطُ بُشْرَى. فَكُلُّ حَالٍ يَعْلُوهُ حَالٌ، وَكُلُّ مَقَامٍ يَفُوقُهُ مَقَامٌ. وَبَيْنَ المَقَامَاتِ اخْتِبَارٌ وَامْتِحَانٌ وَتَمْحِيصٌ

الرشفة التاسعة

لِكُلِّ مَقَامٍ وَحَالٍ بَدْءٌ، ثُمَّ تَمَكُّنٌ، ثُمَّ قَرَارٌ

فَالبَدْءُ حِيرَةٌ لِلْقَلْبِ وَتَمْزِيقٌ لَهُ

وَالتَّمَكُّنُ عِلْمٌ وَفَهْمٌ يَتَنَزَّلُ عَلَى القَلْبِ فَيَجْمَعُ شَتَاتَهُ

وَالقَرَارُ رَحْمَةٌ وَحَنَانٌ وَرَأْفَةٌ تَرْتُقُ القَلْبَ ثُمَّ تَمْلَأُهُ حَتَّى يَفِيضَ

الرشفة العاشرة

يَبْدَأُ التَّسْلِيمُ بِمَعْرِفَةٍ عَقْلِيَةٍ. ثُمَّ يَتْبَعُهَا مَعْرِفَةٌ قَلْبِيَّةٌ. وَآخِرُهُ مَعْرِفَةٌ حَقِيقِيَّةٌ

فَأَوَّلُهُ إِدْرَاكُ الأُلُوهِيَّةِ، وَأَثَرُ تَحَقُّقِهَا الإِمْتِثَالُ لِأَمْرِهِ وَنَهْيِهِ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾

ثُمَّ إِدْرَاكُ الرُبُوبِيَّةِ، وَأَثَرُ تَحَقُّقِهَا التَّوَكُّلُ وِالدُّعَاءُ وَالتَّفْوِيضُ ﴿إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾

وَآخِرُهُ إِدْرَاكُ العُبُودِيَّةِ، وَأَثَرُ تَحَقُّقِهَا مَوْتُ الهَوَى وَالإِرَادَةِ ﴿نَحْنُ شَدَدْنَا أَسْرَهُمْ﴾

الرشفة الحادية عشر

التَّجَلِّي الإِلَهِيُّ هُوَ أَعْظَمُ مَا يَرِدُ عَلَى القَلْبِ

هُوَ الفُيُوضَاتُ النُورَانِيَّةُ الَّتِي يَرَى بِهَا القَلْبُ آثَار الجَلَالِ وَالجَمَالِ وَالكَمَالِ الإِلَهِيّ فِي كُلِّ فِعْلٍ وَمَخْلُوقٍ، فِي كُلِّ خَيْرٍ وَشَرّ، فِي كُلِّ مُطِيعٍ وَعَاصٍ، فِي كُلِّ عِلْمٍ وَجَهْلٍ. كَوْنٌ لَا يَشُوبُهُ نَقْصٌ وَلَا خَطَأٌ، وَلَا زَلَلٌ وَلَا نِسْيَانٌ

الرشفة الثانية عشر

الكَرَامَاتُ وَالمُكَاشَفَاتُ وَالإِلْهَامَاتُ لِلْسَائِرِ عَلَى طَرِيقِ القُرْبَى عَلَى ثَلَاثَةِ أَصْنَافٍ

إِمَّا تَقْوِيَةً لِيَقِينِهِ، لِيَسْتَمِرَ وَيَجِدَّ فِي سَيْرِهِ وَعُرُوجِهِ بَيْنَ المَقَامَاتِ وَالأَحْوَالِ

أَوْ تَسْرِيَةً لَهُ، لِيَصْبِرَ عَلَى بَلَاءِ البُعْدِ عَنْ دَارِ القَرَارِ

أَوْ سَوْقاً لِلْعِبَادِ بِحَاجَاتِهِمْ إِلَيْهِ، لِيَكُونَ بَابَ هِدَايَتِهِمْ وَقَضَاءِ حَوَائِجِهِمْ

فَمَنْ مُنِحَ تَمَامَ اليَقِينِ، انْقَطَعَ عَنْهُ الصِنْفُ الأَوَّلُ

وَمَنْ اعْتَزَلَ النَّاسَ، انْقَطَعَ عَنْهُ الصِنْفُ الثَّالِثُ

أَمَّا الصِنْفُ الثَّانِي فَلَا يَنْقَطِعُ، إِذْ بِهِ تَسْكُنُ القُلُوبُ فَلَا تَتَصَدَّعُ

ركن الصحبة

الرشفة الأولى

﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ﴾

﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾

﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾

فَكُلُّ المَوْجُودَاتِ مِنْ جَمَادٍ وَحَيَوَانٍ وَنَبَاتٍ وَغَازٍ وَصُلْبٍ وَسَائِلٍ وَحَيٍ وَغَيْرِ حَيٍ وَطَبِيعِيٍ وَصِنَاعِيٍ مِنْ أَصْغَرِ ذَرَّةٍ وَخَلِيَّةٍ إِلَى أَكْبَرِ بِنَايَةٍ وَجَبَلٍ، كُلُّ شَيْءٍ سِوَى الثَّقَلَيْنِ مُقِرٌّ للهِ بِالأُلُوهِيَّةِ وَالرُبُوبِيَّةِ، وَكُلُّ شَيْءٍ يُسَبِّحُ بِحَمْدِ رَبِهِ وَيَسْجُدُ لَهُ. فَالكَوْنُ كُلُّهُ يَسْبَحُ فِي أَنْوَارِ العِبَادَةِ وَالإِسْتِسْلَامِ وَالخُضُوعِ. فَصَاحِبْ المَوْجُودَاتِ كُلَّهَا، وَدُرْ مَعَهَا فِي فَلَكِ التَسْبِيحِ وَالسُجُودِ فَتَبَرَ صُحْبَتَكَ فَتَحَيَا حَيَاةً طَيِّبَةً. وَمَنْ فَارَقَ الكَوْنِ لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يُطْفِئَ أَنْوَارَهُ بالسَاطِعةَ البَهِيَّةَ بِظُلْمَةِ قَلْبِهِ، فَكَانَتْ حَيَاتُهُ ضَنْكاً

الرشفة الثانية

الصُحْبَةُ كَاشِفَةٌ فَاضِحَةٌ

مَنْ أَنْصَتَ فِيهَا إِلَى نَفْسِهِ وَأَحْسَنَ النَظَرَ إِلَيْهَا سَمِعَ لَهَا طَنِيناً وَأَزِيزاً وَرَأَى لَهَا اضْطِرَاباً وَفَوَرَاناً. فَانْكَشَفَتْ لَهُ مِنْ نَفْسِهِ صِفَاتٌ دَنِيَّةٌ، وَافْتَضَحَتْ لَهُ مِنْ قَلْبِهِ مَفَاسِدُ خَفِيَّةٌ

فَلَا تَنْظُرْ فِي صُحْبَتِكَ وَلَا تُنْصِتْ إِلَّا إِلَيْكَ، وَلَا تَحْكُمْ إِلَّا عَلَيْكَ. وَلْتَكُنْ حَاجَتُكَ مِنَ الصُّحْبَةِ انْكِشَافَ نَفْسِكَ وَافْتِضَاحَ خُلُقِكَ. فَإِذَا مَا تَمَ لَكَ ذَلِكَ فَقَدْ بُورِكَ لَكَ فِي صُحْبَتِكَ

الرشفة الثالثة

مَا الصُحْبَةُ إِلَّا قُلُوبٌ أُعْيَتْهَا الأَدْوَاءُ وَالأَزْمَاتُ، فَاجْتَمَعَتْ فِي طَرِيقِ اللهِ بَاحِثَةً عَنْ الشِّفَاءَ والسَّكِينَةَ. فَارْفُقْ بِقُلُوبِ صَحْبِكَ فَإِنَّهُمْ يَرْجُونَ مَا تَرجُو

الرشفة الرابعة

كُلُّ صُحْبَةٍ مَآلُهَا الزَّوَالُ، وَنَفْعُهَا لَك إِلَى نَفَادٍ، وَالتَّعَلُّقُ بِهَا حِجَابٌ

فَاسْأَلِ اللهَ أَنْ يَكُونَ لَكَ صَاحِباً فِي سَفَرِكَ إِلَيْهِ

فَصُحْبَةُ اللهِ بَاقِيَةٌ، وَخَيْرُهُ وَنِعَمُهُ مَا لَهَا مَن نَفَادٍ

الرشفة الخامسة

لَبِنَاتُ الجَنَّةِ أَهْلُهَا وَنَعِيمُهُمْ وَمَتَاعُهُمْ وأَوْصَافُهُمْ

فَالجَنَّةُ مَجْمُوعُهُمْ، وَأَهْلُهَا بَعْضاً مِنْها

هُمْ زِينَةُ دُنْيَانَا، بِهِمْ تَتَنَزَّلُ رَحْمَةُ اللهِ عَلَى خَلْقِهِ

بِصُحْبَتِهِمْ يَسْعَدُ القَلْبُ، وَتَهْدَأُ النَّفْسُ

﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾

ركن الملائكة

الرشفة الأولى

الَّذِينَ يَحْمِلُونَ عَرْشَ الرَّحْمَنِ وَمَنْ حَوْلَهُ غَارِقُونَ فِي التَّسْبِيحِ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَالاِسْتِغْفَارِ لِلَّذِينَ آمَنُوا. فَأَكْثِرْ مِنَ الدُّعَاءِ لَهُمْ بِأَنْ يُجَازِيهِمُ اللهُ خَيْراً، وَأَنْ يُعْطِيهِمْ مَا لَمْ تَرَ أَعْيُنُهُمْ، وَلَمْ تَسْمَعْ آذَانُهُمْ، وَلَمْ يَخْطُرْ عَلَى قُلُوبِهِمْ. وَأَنْ يُنْعِمَ عَلَيْهِمْ بِتَحْقِيقِ مَا يُظْهِرُونَ وَمَا يَكْتُمُونَ

وَالقَلْبُ يَذْهَلُ فَكَيْفَ العَرْشَ يَحْمِلُهُ ... مَلَكٌ كِرَامٌ ثَمَانِيَةٌ مِنَ الأَطْهَارْ

فَبِأَيِّ خَيْرٍ قَدْ امْتَلَأَتْ قلوبُهُمُ ... وبِمَ اسْتَحَقُّوا لِذِي العَرْشِ المَجِيدِ جِوَارْ

يَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الأَرْضِ مُؤْمِنُهُمْ ... وَقُلُوبُهُمْ وَلْهَى فِي حَضْرَةِ الجَبَّارْ

الرشفة الثانية

مَلَكُ المَوْتِ رَسُولُ رَبِّكَ إِلَيْكَ. بِهِ تَنْفَتِحُ أَبْوَابُ الآَخِرَةِ لَكَ. وَهُوَ أَوَّلُ مُسْتَقْبِلٍ لَكَ فِيهَا. يُلَبِّي أَمْرَ رَبِّهِ بِقَبْضِ أَرْوَاحِ الأَنْبِيَاءِ وَالأَوْلِيَاءِ وَالصِدِّيقِينَ وَالمُؤْمِنِينَ، فَيُعَايِنُ سَكَرَاتِهِمْ.

تَنْقَبِضُ قُلُوبُ العِبَادِ لِذِكْرِهِ. وَلَا يُرَى إِلَّا مُنْهِياً وَهَادِماً لِمَلَذَاتِ الدُّنْيَا، بَيْنَمَا هُوَ مُفْتَتِحٌ وَمُبَشِّرٌ بِنَعِيمِ الآَخِرَةِ.

فَأَكْثِرْ مِنَ الدُّعَاءِ لَهُ بِأَنْ يَجْعَلَهُ اللهُ فِي دَارِ البَقَاءِ مَحْبُوبَ أَهْلِ الجَنَّةِ، وَجَلِيسَ أَسْمَارِهِمْ، وَمَقْصِدَ أَفْرَاحِهِمْ. وَأَنْ يَمْلَأَ قَلْبَهُ فَرْحَةً وَسُرُوراً. وَأَنْ يَفْتَحَ الرَّحْمَنُ لَهُ بَاباً إِلَيْهِ لَا يُفْتَحَ لِأَحَدٍ مَعَهُ

أَوَ قَابِضَ الرُوحِ بَابَ الوَصْلِ تَفْتَحُهُ ... لِتُزِيلَ حُجُباً بِهَا قَدْ حَكَمَتِ الأَغْيَارْ

يَا رُوحُ فَلْتَخْرُجِي مِنْ سِجْنِ بَلْوَاكِ ... يَا مُؤْمِناً بُشْرَاكَ أَنِعْمَ بِعُقْبَى الدَارْ

يَا رَبِّ بَشِّرْهُ وَلْتَفْتَحْ لَهُ بَاباً ... لَا يَنْبَغِي لِسِوَاهُ يَعْلُوهُ ثَوْبَ فَخَارْ

الرشفة الثالثة

جِبْرِيلُ بِالوَحْيِ مُرْشِدُنَا مُعَلِّمُنَا أَمْراً وَنَهْياً وَنُصْحاً أَجْزَلَ الإِخْبَارْ

خَيْرُ البَرَايَا فَصُحْبَتُهُ لَهُمْ مَدَدُ مُذْ خَلْقِ آدَمَ وَحَتَّى سَيِّدَ الأَخْيَارْ

ذُو مِرَّةٍ بِثَنَاءِ النُّورِ قَدْ فَازا وَالعَيْنُ لَجَّ بِهَا شَوْقٌ إِلَى الإِبْصَارْ

ركن الأنبياء

الرشفة الأولى

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾

﴿وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى﴾

﴿نِعْمَ العَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾

قُلُوبٌ اسْتَحَقَّتْ مَدْحَ اللهِ لَهَا.

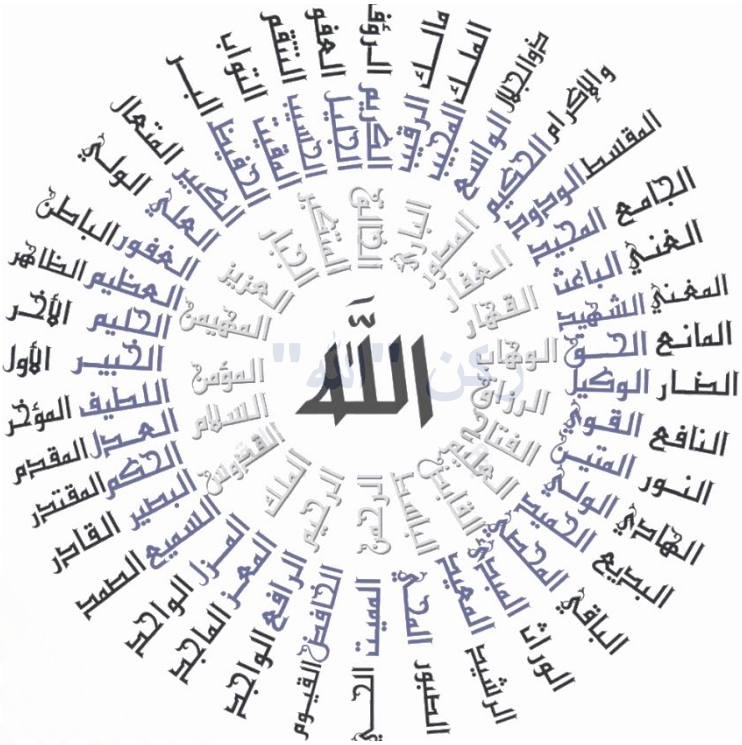
الله
الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر الخالق البارئ المصور الغفار القهار الوهاب الرزاق الفتاح العليم القابض الباسط الخافض الرافع المعز المذل السميع البصير الحكم العدل اللطيف الخبير الحليم العظيم الغفور الشكور العلي الكبير الحفيظ المقيت الحسيب الجليل الكريم الرقيب المجيب الواسع الحكيم الودود المجيد الباعث الشهيد الحق الوكيل القوي المتين الولي الحميد المحصي المبدئ المعيد المحيي المميت الحي القيوم الواجد الماجد الواحد الصمد القادر المقتدر المقدم المؤخر الأول الآخر الظاهر الباطن الوالي المتعال البر التواب المنتقم العفو الرؤوف مالك الملك ذو الجلال والإكرام المقسط الجامع الغني المغني المانع الضار النافع النور الهادي البديع الباقي الوارث الرشيد الصبور

الرشفة الأولى

اِعْلَمْ أَنَّ اللهَ قَدْ ذَكَرَكَ فِي نَفْسِهِ فِي قَدِيمِ عِلْمِهِ مُرِيداً خَلْقَكَ وَإِيجَادَكَ.

وَأَنَّهُ تَوَلَّاكَ بِرِعَايَتِهِ مُنْذُ قَدِيمِ إِرَادَتِهِ خَلْقَكَ وَقَبْلَ إِيجَادِكَ.

وَأَنَّ فَضْلَهُ عَلَيْكَ غَامِرٌ لَا يَنْقَطِعَ مُذْ ذَاكَ وَحَتَّى إِحْيَائِكَ ثُمَّ مَوْتِكَ ثُمَّ فِي بَرْزَخِكَ وَبَعْثِكَ وَحَشْرِكَ وَحِسَابِكَ وَمُسْتَقَرِّكَ.

فَأَكْثِرْ مِنْ حَمْدِهِ وَشُكْرِهِ إِذْ أَكْرَمَكَ بِذِكْرِهِ وَأَدْخَلَكَ فِي عِلْمِهِ وَإِرَادَتِهِ

الرشفة الثانية

قَلْبُ المُقَرَّبِ مُضْطَرِبٌ مَا بَيْنَ حُبٍ وَخَوْفٍ، وَشَوْقٍ وَوَجَلٍ. يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ وَيَخْشَاهُ. حُبُّ مَوْلَاهُ يُؤْمِنُهُ وَخَشْيَتُهُ تُقْلِقُهُ. فَقَلْبُهُ أَبَداً مَا بَيْنَ طُمَأْنِينَةٍ وَاضْطِرَابٍ.

فَادْعُ اللهَ إِنْ كَانَ فِي قَلْبِكَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَوْ أَصْغَرَ مِنْ حُبِّهِ وَالشَّوْقِ إِلَيْهِ أَنْ يَرْحَمَكَ بِهِمَا. فَنُورُ مَوْلَاكَ لَا تَبْقَى مَعَهُ ظُلْمَةٌ وَلَا خَوْفٌ وَلَا سَقَمٌ. وَمِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ حُبِّكَ لَهُ لَا يُعَادِلُهَا وَلَا يُكَافِئُهَا شَيْءٌ.

الرشفة الثالثة

إِذَا رَأَيْتَ قَلْبَكَ بِاللهِ عَامِرٌ وَجَوَارِحَكَ عَنْ أَمْرِهِ سَاهِيَةٌ، وَقَلْبَكَ مُؤَمِّلٌ وَعَزْمَكَ قَانِطٌ، وَقَلْبَكَ بَاكٍ وَنَفْسَكَ ضَاحِكَةٌ. فَاسْأَلْ اللهَ أَنْ يُتِمَّ عَلَيْكَ نِعْمَتَهُ

الرشفة الرابعة

كُلُّ قَلْبٍ تَتَجَلَّى فِيهِ مِنَ أَسْمَاءِ اللهِ الحُسْنَى مَا يُوَافِقُ مَقَامَه

الرشفة الخامسة

قَلْبُ المُؤْمِنِ يَسَعُ الكَوْنَ كُلَّهُ

أَلَمْ يَقُلْ اللهُ رَبُّنَا وَاصِفاً خَيْرَ خَلْقِهِ ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينِ﴾،

فَقَلْبُ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَسَعُ الخَلْقَ جَمِيعَهُمْ – إِنْسَهُمْ وَجِنَّهُمْ وُحَيَوَانَاتِهِمْ وَنَبَاتَاتِهِمْ وَجَمَادَاتِهِمْ – رَحْمَةً وَحَنَاناً.

وَقَلْبُ المُعْرِضِ سِجْنٌ ضَيِّقٌ لَا يَتَّسِعُ لِمَوْضِعِ إِصْبَعٍ، وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ اللهُ هَادِينا ﴿وَمَنْ يُرِدِ اللهُ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ﴾.

وَمَا بَيْنَ الاِتِسَاعِ المُطْلَقِ وَالضِّيقِ المُحْكَمِ تَتَفَاوَتُ قُلُوبُ الخَلْقِ.

فَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَعْرِفَ قَدْرَ اسْمَ اللهِ الوَاسِعَ فِي قَلْبِهِ فَلْيَمْتَحِنْ سِعَةَ قَلْبِهِ.

الرشفة السادسة

وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ

فَوْقِيَّةُ قَهْرِهِ مُحِيطَةٌ بِعِبَادِهِ

فَمِنْهُمْ مَنْ يُذِلّهُ قَهْرُهُ تَعَالَى وَيُخْفِضُهُ إِلَى أَسْفَلَ سَافِلِين

وَمِنْهُمْ مَنْ يُعِزُّهُ قَهْرُهُ تَعَالَى وَيرْفَعُهُ إِلَى أَعْلَى عِلّيين

فَكُلٌّ مُحَاطٌ بِقَهْرِهِ، وَكُلٌّ مَقْهُورٌ لِإِرَادَتِهِ، وَمَا ثَمَّ إِلَّا فَضْلَهُ

الرشفة السابعة

"يَا حَبِيبِي يَا الله"

اللَّهُمَّ رِبِّي اجْعَلْ كُلَّ مَنْ يَقْرَأَهَا مِنْ إِنْسٍ أَوْ جِنٍّ أَوْ مَلَكٍ أَوْ غَيْرَهُمْ مِمَّنْ وَمِمَّا خَلَقْتَ شَهِيداً لِي يَوْمَ القِيَامَةِ

الخاتمة

لا يزال المرء يتقلب في المشاعر والأحوال، وقوة الإيمان وفترته، والانتصار على النفس والسقوط صريعاً بين يديها، والانتصار على الشيطان في معارك وتجرع مرارة الهزيمة في معارك أخرى، وهذا هو حال العبد حتى يلقى الله على خير حالٍ برحمته وكرمه وواسع عطائه. فأرجو الله تعالى أن يبارك في خاني ودرري، فتتسع أركانه، ويعلو مبناه، وتزيد بضاعته، لتصل إلى كل طالب زلفى، فيتزين بها للقاء المولى عز وجل.

والطريق إلى القربي محطات ودرجات، من عبرها لم يبق له طريق ولا محطات ليراها، ومن كان فيها ويخوض غمارها فهو غارق في تفاصيلها ورسومها. ومن ثم رجوت بهذا الكتاب صحبتكم في طريق تشعبت تفاصيلها، وكثرت مخارجها. فمن لازم المسافرين لزم الطريق، ومن صحب الواصلين وصل.

والطريق إلى الله شرعاً في عمومها واحدة، أما معانيها فبحر لا ينفد، وطيف تذوقها لا نهاية له، والشعور بها لا سقف له، لذا فأذواق السالكين لهم لا لغيرهم، وهي غير ملزمة إلا لأنفسهم. فذوقي للزهد ليس كذوق غيري، وحالي في الحب ليس كحال غيري، ومن ثم فالذوق لا يحاكم ولا يقلد، وإنما يسترشد بالمعاني الواردة فيه. فإن وجدت فيما قرأت إرشاداً فلله الحمد وحده أن ساق قلبك إليه، ودلك عليه، وأسمعك مع من أسمع من الصالحين من عباده.

وأخيراً أسأل الله الرحمة والمغفرة إن كان في هذا الكتاب حرف واحد فيه تقول عليه تبارك وجل في علاه، أو إخلال بتنزيهه، سبحانه وتعالى عما نقول ونكتب ونتصور ونصف، أو خروج عن الشريعة المحمدية صلوات الله وسلامه على خير رسله. فمن وجد شيئاً من هذا فليستغفر الله لي، ومن لم يجد من هذا شيئاً فليحمد الله على فضله ونعمته التي أجراها إليه، ومن وجد فيه فائدته وبغيته وطريقه فليدع الله لي في الدنيا، وليطلبني في ساحة الحساب لعله يفرج كربتي، ويدلني، ويشفع لي عند الله.